عبود الشالجي

صراط

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (3256) السنة الثانية عشرة

الخميس (8) كانون الثاني 2015

WWW. almadasupplements.com

4

عبود الشالجي
في النقد التراثي

نتاجات ابداعية: قبل عشرين عاماً..

الشالجي: «الجواهري شيخ شعراء العربية بلا منازع»

رشيد الخيون

قبل عشرين عاماً دعا ديوان الكوفة بلندن، برعاية منشئه المعمار المعروف محمد مكية، إلى حفل تكريم للشاعر محمد مهدي الجواهري(ت ١٩٩٧)، وكان المحقق والمحامي والقاضي عبود الشالجي (١٩١١-١٩٩٦) أحد المدعوين للمشاركة، فأعد مداخلة وسمها بعنوان: «الجواهري شيخ شعراء العربية بلا منازع»، مؤرخة في (٢ مارس ١٩٨٩)، وبما أنه لم يحدد زمناً لمشيخة شاعرنا فأحسبه ذهب إلى إطلاق عنوانه على الأعصر كافة، وما ولدته وتلده من جهابذة القوافي.

ظلت المداخلة مطوية، بخط يد الشالجي، في أرشيف ديوان الكوفة. وبالمصادفة عثرت عليها في مِلف الجواهري، الذي لم يفتح منذ أن أُغلق في ذلك العام، وفيه مشروع يليق بتكريم كبير بحجم الجواهري. والمحقق عبود الشالجي أحد معاصريه، ومن المعجبين بشعره أيام كان للشعراء أنصار يتلقطون قوافيهم وأخبارهم.

××تراث الشالجي:-

المحقق عبود الشالجي مؤلف ومحقق لمجلدات من الكتب، هي: «موسوعة العذاب» سبعة مجلدات، و«الكنايات والأمثال البغدادية» ثلاثة مجلدات، ومحقق كتابي «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» ثمانية مجلدات، و«الفرج بعد الشدة» خمسة مجلدات، وهما من انشاء القاضي أبي علي المُحسَن التنوخي. وحقق «الرسالة البغدادية» لأبي حيان التوحيدي، وهو الذي أعاد هذا الكتاب لاسم صاحبه الحقيقي، بعد أن كتبه التوحيدي، كعادته، باسم مستعار هو أبو مطهر محمد بن أحمد الأزدي، وطبع تحت عنوان «حكاية أبي القاسم البغدادي»، ولو قلبت مكتبات الدنيا ومعاجمها ما وجدت للأزدي من سيرة أو أثر.

×كذلك ألف الشالجي كتباً في مختلف الموضوعات التاريخية النادرة: «الرواتب في الإسلام»، «المائدة في الإسلام»، «الأثمان في الإسلام»، «الألقاب»، «الخبر بين صاحب الخبر وصاحب البريد»، «طرائف» بثلاثة أجزاء (ما عاينت، ما سمعت، ما قرأت)، «آخر ما قالوا» و«كيف ماتوا». أحرقت مخطوطات هذه الكتب كافة، إثناء الحرب الأهلية اللبنانية، حيث كان يقيم ببلدة بحمدون. وآخر ما حاول اتمامه جمع ديوان الشاعر الحسين بن الحجاج(٣٩١هـ)، إلا أن الفالج منعه من الحركة، هذا ما أخبرني به في آخر لقاء معه بلندن. الشالجي من القضاة والمحامين المعروفين بالعراق، وكان كاتب ضبط محضر جلسة البرلمان العراقي، التي أنتحر على أثرها رئيس الوزراء عبد المحسن باشا السعدون (١٩٢٩)، وكاتب ضبط قضية التجسس على الرسائل البريدية المعروفة آنذاك. وبسبب خلافات مع وزير العدلية في الأربعينيات رشيد عالي الكيلاني(ت ١٩٦٥) استقال من القضاء ليتفرغ للمحاماة، وقد عرف ببغداد بلقب المحامي.

××نصير الجواهري :-

أما رأيه وعلاقته بالجواهري فستفصح عنه كلمته التالية، وبالعنوان الذي ورد فيها «الجواهري شيخ شعراء العربية»، ولعلها ترد على من يحاول الطعن بشخص الجواهري، ويحاول النيل من موهبته الفذة. ونجد في الرسالة تكرار عبارة «أستاذنا» وكلمات الثناء الأخرى، فالشالجي يكتب مثلما يتكلم، وأسلوبه بالكتابة متأثر بقراءاته من كتب الأقدمين، وبالذات القاضي التنوخي(ت ٣٨٤هـ).

لكن هذا زاد من قيمة المداخلة، وما ورد فيها من تحليلات لشخصية الجواهري وانعكاسها في شعره. كما وردت في أبيات الشعر المستشهد بها تغييرات، تركناها كما هي وأشرنا إلى أصولها في ديوان الجواهري، طبعة بيروت دار العودة. ولعلَّ الشالجي أقتبسها من مظان أخرى، قد غيرها الشاعر إثناء التنقيح.

××نص المداخلة:-

الأستاذ محمد مهدي الجواهري، الشاعر العبقري، شيخ شعراء العربية بلا منازع، لا يجادل في ذلك إلا جاهل أو مكابر. والعبقرية هبة من الله، يودعها فيمن أراد من عباده. فإذا لاقت بيئة مناسبة وظروفاً صالحة نمت وأينعت وآتت أكلها. وأستاذنا الجواهري نشأ طالب علم، من طلاب الحوزة الدينية، في جامعة من أعظم الجامعات في العالم في تدريس الفقه الإسلامي وعلوم العربية. ونشأ معه الآلاف من الطلبة في مثل سنّه، وفي مثل هذه بيئته وظروفه، وتخرج معه شعراء وأدباء وفقهاء وقضاة.

ولكن أستاذنا الجواهري كان فيهم المبرز في الشعر، لأن عبقريته في هذا الموضوع صادفت بيئة مناسبة وظروفاً صالحة. والشاعر العبقري شعره مرآة عصره، ومرآة نفسه، وكذلك كان أستاذنا الجواهري.

فلو أن أحداً من بعد ألف من السنين قرأ شعر الجواهري لأستدلَّ منه على صفاته، وعلى ما يأنس له وما يضيق به، ولأفاد في قراءة شعره علماً تاماً بمجريات الأمور في زمانه. فإذا قرأ قارئ قصيدة الجواهري في رثاء زوجته أم فرات، رحمها الله، أحسَّ عند قراءتها بعاطفة الحزن الملتهبة في أعماقه، وبما كان يعانيه قلبه المتفطر، وكبده المتفجر، قال:

في ذِمَّة الله ما ألقى وما أجِدُ/
أهذه صخرة أم هذه كبدُ/
قد يقتل الحزنُ مَنْ أحبابهُ بعُدوا/
عنه فكيف بمن أحبابُهُ فقدوا/
حُيِّيت «أم فرات» إنّ والدةً/
بمثل ما أنجبتْ تُكنى بما تَلد(١)/

××الصراع مع البيئة:-

إنّي ما قرأت هذه الأبيات وأنا خال إلا وفاض دمعي فإنها تنم عن قلب يذوب فيقطر. وإذا قرأ القارئ قصيدة الأستاذ الجواهري في شكوى حاله وهو شاب، وحديثه عن ضيقه بجفاف عيشه، ورغبته في التمتع بما يتمتع به الشاب من مناعم الحياة أدرك أن أستاذنا الجواهري كان يعيش وسط بيئة متزمتة تسيطر عليها تقاليد تحول بينه وبين ما يرغب فيه من المتع، قال:

قد سئمت الجفاف في العيش/
لا رشفة ثغرٍ ولا نعومةُ خدّ/
ووردة في حديقة الشعر أهويها(٢)/
إلى مُطمعي بقطفة ورد/
ليس عندي أعزُّ منها وحسبي/
أنّني خيرُ ما تملكتُ أهدي/
اشتهي عُلقةً بجبلِ غرام/
أوصليها(٣) ولو بكاذبٍ وعد/

ويستدل القارئ عند قراءة هذه الأبيات على ما كان يحيط بالأستاذ الجواهري من حجب فرضتها التقاليد. فإن أستاذنا نشأ في أسرة دينية، وكان جد الأسرة الشيخ محمد حسن، المتوفي في السنة

١٢٦٦هـ، مرجع الشيعة الإمامية في عصره، وعرف بصاحب الجواهر لمؤلفه المشهور «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام».

وهذا الكتاب من أعظم مراجع الفقه الجعفري، فعرفت العائلة بآل الجواهري، ووصل الكثير من أفرادها إلى درجة الاجتهاد، وأصبحوا من المراجع في أمور الدين. رأيتُ منهم الشيخ الأجل محمد الجواد الجواهري في النجف، وكنتُ إذ ذاك حاكماً (قاضيا) في منطقة أبي صخير المجاورة للنجف في السنة ١٩٣٥.

وكان رحمه الله مرجعاً من المراجع المهمة في أمور الدين وفي أمور الدنيا، إذ كانت السلطات تستنير برأيه في كل معضلة يحتاج فيها إلى الاستئناس بآراء ذوي الحكمة والرأي السديد. ومثل هذه العائلة لا بد من أن يخيم على أفرادها جوّ من المحافظة على التزام التزمت في ظروف حياتهم. وكان أستاذنا وهو شاب يرغب أن يتمتع بمباهج الحياة، ويضيق بما يلاقيه من تزمت في ذلك الجو المحافظ، فكان شعره الذي أوردنا آنفاً نبذة منه يدل على ذلك. إن قراءة شعر أستاذنا الجواهري توضح لنا أن نفسه الكبيرة كانت تدافع في طموح لا يحده حدٌّ إلى الأعلى. فإذا في طريقه عقبة ثار وأهتاج، وصب جام غضبه على من أقام تلك العقبة وقال:

قبل أن تندب(٤) النبوغ المضاعا/
سُبّ من جرّ هذه الأوضاعا/
سُبَّ من شاء أن تموت وأمثا/
لك هَماً وأن تروحوا ضَياعا/
سُبَّ من شاء أن تعيش فلولٌ/
حيث أهل البلاد تقضي جياعا/

فإذا زادت العقبات في طريقه فاض غضبه واشتدّ وقال:

أُحاولُ خرقاً في الحياة فما أجرا/
وأسـفُ أن أمضـي ولم أكتسب ذكرى(٥)/
ويُؤلمني فرطُ أفتكاري بأنني/
سأذهبُ لا نفعاً جلبت ولا ضُرّا/
مضت حِججٌ عشرٌ ونفسي كأنها/
من الغيظ سيل سدَّ في وجهه المجرى/
خبرتُ بها ما لو تخلّدتُ بعدَه/
لما أزددتُ علماً بالحياة ولا خُبرا/
وأبصرتُ ما أهوى على مثله العمى/
وأسمعتُ ما أهوى على مثله الوَقرا/
وعُدتُ ملىّ الصّدر حِقداً وقُرحةً/
وعادت يدي من كلّ ما أمّلتْ صِفْرا/

××ملاقاة الأذى :-

ويحاول الشاعر أن يجد لنفسه عذراً في صبره وسكوته عما يلاقي من الأذى فيقول:

أقولُ اضطراراً قد صبرتُ على الأذى/
على أنني لا أعرفُ الحرَ مضطرّا/
وليس بحُرٍّ من إذا رامَ غايةً/
تخوَّفَ أن ترمي به مَسلكاً وعْرا/
وما أنتَ بالمُعطي التمرُّد حقه/
إذا كنت تخشى أن تجوع وأن تَعرى(٦)/

صدق أستاذنا الجواهري: وما أنت بالمعطي التمرّد حقّه/
إذا كنت تخشى أن تجوع وأن تعرى/

هذا البيت يشتمل على وصف عجيب (كلمة معروفة) ومقاومة الاضطهاد والجور والنزوع إلى الحرية، والانطلاق نحو حياة أفضل. وأستاذنا الجواهري يعترف في شعره بأن طموحه لا حدَّ له، وأنه كلما ارتقى إلى مرتبة من مراتب الحياة طمح إلى مرتبة أعلى منها، وهو يقول:

حُبيتُ بنَدمان وخمر فساءني(٧)/
بأني لا مُلكاً حُبيتُ ولا قصرا/
ولو بهما مُتّعتُ لم ألفَ(٨) ساخطاً/
على الدهر إذ لم يَحْبُني حاجةً أخرى/

وإذا قرأ القارئ شعراً للأستاذ الجواهري يعترف فيه بأن وجهه حزين الملامح، يشعر أن أستاذنا مصاب بعقدة من العقد، وهو إحساسه بأنه ليس بالوسيم الوجه، ذلك لأنّ في وجهه أثراً من الجدري أصابه في صباه، فنثر على وجهه ندباً لم تشن وجهه، ولكن شعوره بوجودها كان عظيم الأثر في نفسه، وقد تعلق أستاذنا بغانية كانت قد تربعت على عرش الغناء في بغداد، ولاقى منها عناية واهتماماً. ولكنه كان يرغب في ما هو أكثر من العناية والاهتمام، كان يرغب في أن تهواه كما كان يهواها.

وهو في إحدى قصائده يعترف لها بأنه ليس بالوسيم، ولكن محاسنه الأخرى تغطي على النواقص البيّنة في ملامح وجهه الحزين، قال:

جرّبيني من قبل أن تزدريني/
وإذا ما ذممتني فاهجريني/
ويقيناً ستندمين على أنّك/
من قبل كنت لم تعرفيني(٩)/

أريد أن تلاحظ أنّ كلمة «يقيناً» الواردة في هذا البيت تدل دلالة قاطعة على أن الأستاذ الجواهري قد طلب العلم في النجف فأنّ هذه الكلمة مقصور استعمالها على من طلب العلم في النجف، لا يستعملها غيرهم.

لا تقيسي على ملامح وجهي/
وتقاطيعه جميع شؤوني/
أنا لي في الحياة طبع رقيق/
يتنافى ولون وجهي الحزين(١٠)/

وقد حدثنا أستاذنا الجواهري ذات ليلة، وهو يضحك، عن صاحب له عيَّره بآثار الجدري في وجهه قال: «كنا ونحن شبان نطلب العلم في النجف نهتم، في مناسبات الصيام والأعياد، برؤية الهلال، ونتسابق من أجل ذلك، وحصل ذات يوم أن خرجنا إلى سور النجف ـــ وكانت النجف إذ ذاك مسوّرة ـــ نحاول رؤية الهلال، فإذا رأيناه تشايرنا (هكذا وردت)، ولم يره أحد منا إلا واحداً من أصحابنا أسمه الشيخ حسن، وهو أعور، قال إنه رآه، فأنكرنا ذلك عليه، فأصر وكابر، وقلنا له: إن أحداً منا لم يره، فقال: ولكنني رأيته، فاغتظت منه وقلت له: بأي عين رأيت الهلال يا شيخ حسن؟ فغضب وقال: رأيته من شبابيك وجهك، يعيرّني بآثار الجدري».

المحقق عبود الشالجي مؤلف ومحقق لمجلدات من الكتب، هي: «موسوعة العذاب» سبعة مجلدات، و«الكنايات والأمثال البغدادية» ثلاثة مجلدات، ومحقق كتابي «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» ثمانية مجلدات، و«الفرج بعد الشدة» خمسة مجلدات، وهما من انشاء القاضي أبي علي المُحسّن التنوخي.

××علب السكائر أوراقه:-

كنا في صيف السنة ١٩٣٩ جماعة من شباب العراق نصطاف في ضهور الشوير من لبنان، ودعينا إلى حفلة تقام في عين التعص بين بكفيا وضهور الشوير، بمناسبة اليوبيل الفضي لمجلة «العرائس»، التي تصدر في بكفيا. واقترحنا على أستاذنا الجواهري أن ينظم بهذه المناسبة قصيدة يحيي بها المجلة الأدبية التي مرَّ عليها خمس وعشرون سنة، فوافق، ولكن الشعر استعصى عليه، وكلنا نعرف عن أستاذنا الجواهري أنه إذا أتاه الشعر أن يسجل رؤوس الأبيات على ظهر علبة سكائره، ولكن إذا أبصرنا ظهر العلبة خالياً من الكتابة أدركنا أنه لم يواته شيء.

ولكنه في اليوم الأخير قبل يوم الاحتفال واتاه الشعر، وأبصرنا رؤوس الأبيات مدوَّنة بالقلم الرصاص، وألقى الأستاذ الجواهري في ذلك الاحتفال قصيدة كانت كعصا موسى، لاقت من الدهشة والإعجاب الشيء العظيم، بدأها بقوله في وصف لبنان:

ارجعي ما استطعت لي من شَبابي/
يا سُهولاً تدثّرتْ بالهضاب/
غسل البحر أخمَصيْها ورشّتْ/
عبقاتُ النّدى جباه الرّوابي/

واحتواها «صنيّنُ» بين ذراعي ه/
عَجوزاً له رُواءُ الشّباب/
كلّما غامَ كُربةٌ من ضباب/
فرّجتْ عن قبلة من شهاب/
والقرّيات كالعرائس تجُلى/
كلّ آن تلوحُ في جِلباب/
من رقيق الغيوم(١١) تحت نقاب/
ومن الشمس غضّة في إهاب/
وهي في الحالتين فتنة راء/
بين لونين من مُشعٍّ وكاب(١٢)/
والكروم المعرَّشات حُبالى/
مُرضعاتٌ كرائم الأعناب/
رافعاتُ الرؤس شُكراً وأخرى/
ساجداتٌ شُكراً على الأعتاب/
كيف لا ترقصُ الطبيعةُ في أر/
ض ثراها مخضّب بالشراب/

إنّي لم أجد شعراً وصف به لبنان مثل هذا الوصف. وأستاذنا الجواهري وإن كان مبرزاً في جميع أغراض الشعر إلا أنه في الوصف لا يلحق به لاحق.

××الإعتداد بالنفس :-

أنظر إلى قصيدته في مهرجان المعرَّة، فإن أحداً من الشعراء قبله أو بعده لم يصف أبا العلاء كما وصفه الجواهري وصفاً بالغ العظمة والإبداع في إيجاز لم يتجاوز بيتين اثنين، قال:

على الحصير وكوزُ الماء يرفدُه/
ودِهنُه ورفوفٌ تحمل الكتبا/
أقام بالضّجّة الدُّنيا وأقعدَها/
شيخٌ أطلَّ عليها مُشفقاً حَدِبا(١٣)/

وفي هذه القصيدة بيتان يوضحان لنا مقدار اعتداد الشاعر بنفسه وبشعره، فقال يخاطب أبا العلاء:

«أبا العلاء» وحتى اليوم ما بَرحتْ/
صنّاجةُ الشّعر تُهدي المترف الطّربا/
يَستنزلُ الوحي من عليا سما وتد(١٤)/
رأسٌ ليمسحَ من ذي نعمة دَنَبا/

وهو في البيت الأخير لم يقتصر في تعاليه على اعتبار نفسه رأساً، وإنما جعل لذوي النعم أذناباً. وشعور أستاذنا الجواهري بعلو شأنه وارتفاع مقامه دفعه إلى اختيار الموضع البارز حتى في جهنم. فإنه في قصيدته التي بعث بها إلى غانيته اختار لنفسه موضعاً بارزاً في جهنم، ولم يكتف بذلك حتى أتخذ لنفسه في ذلك الموضع وزير ميمنة ووزير ميسرة، قال مخاطباً غانيته:

وستغرينَ بالمحاسن رُضواناً/
فيُلقيك بين حور وعِين/
وأنا في جهنّم مع أشيا/
خ غُواة بغيِّهم ظلموني(١٥)/
عَن يساري أعمى المعرّة والشي/
خ الزهاوي مقعداً عن يميني/

××استقر شاعراً:-

من مزايا أستاذنا الجواهري، وهي مزيّة تفرده عن كثير من الشعراء، أنه استقر شاعراً لا معاً في جميع أطوار حياته في شبابه، وفي كهولته وفي شيخوخته. والآن وقد عبر أستاذنا الثمانين فأن مريديه والمعجبين به يتمنّون له مزيداً من العمر في أتمّ صحة، ويسألون الله له عمر نوح، وهو دعاء لا يستجاب. وإذا طويَ سجل أستاذنا بعد عمر طويل فإنّ من يرثيه له أن يستخرج من شعره بيتاً ينطبق عليه تمام الانطباق وهو قوله:

على رغم أنف الموت ذكرك خالد/
ترنُّ بسمع الدهر منك القصائد(١٦)/

××هوامش التحقيق:-

( ) قصيدة ناجيت قبرك، نظمت العام ١٩٣٩.

(٢) وردت في الديوان: أُهديها، والأبيات من قصيدة : تائه في حياته، نظمت العام ١٩٣٢.

(٣) وردت في الديوان أوجديها.

(٤) وردت في الديوان: تبكَي. والأبيات من قصيدة: الدم يتكلم، نظمت العام ١٩٣١.

(٥) ورد الشطر الثاني من البيت في الديوان كالآتي: وآسف أن أمضي ولم أبق لي ذكرى، والأبيات من قصيدة المحرّقة، نظمت العام ١٩٣١.

(٦) القصيدة نفسها.

(٧) وردت في الديوان: فغاظني، والأبيات من القصيدة السابقة.

(٨) وردت في الديوان: ما زُلتُ.

(٩) من قصيدة جربيني، نظمت العام ١٩٢٩.

(١٠) القصيدة نفسها.

(١١) وردت في الديوان: الغيوم. والقصيدة نشرتها مجلة العرائس وجريدة الأنباء العام ١٩٣٩ والمناسبة، حسب توضيحات الديوان، كانت عيد الزهور الذي أقامته المجلة المذكورة.

(١٢) وردت في الديوان: وخابي.

(١٣) من قصيدة أبي العلاء المعري، نظمت العام ١٩٤٤

(١٤) ورد الشطر الأول من البيت في الديوان كالآتي: يستنزلُ الفكر من عليا منازله.

(١٥) وردت في الديوان: غمروني، والأبيات من قصيدة جربيني.

(١٦) من قصيدة الزهاوي، ألقيت على قبر جميل صدقي الزهاوي، العام ١٩٣٦.

المقال سبق ان نشر في المدى عام ٢٠٠٦

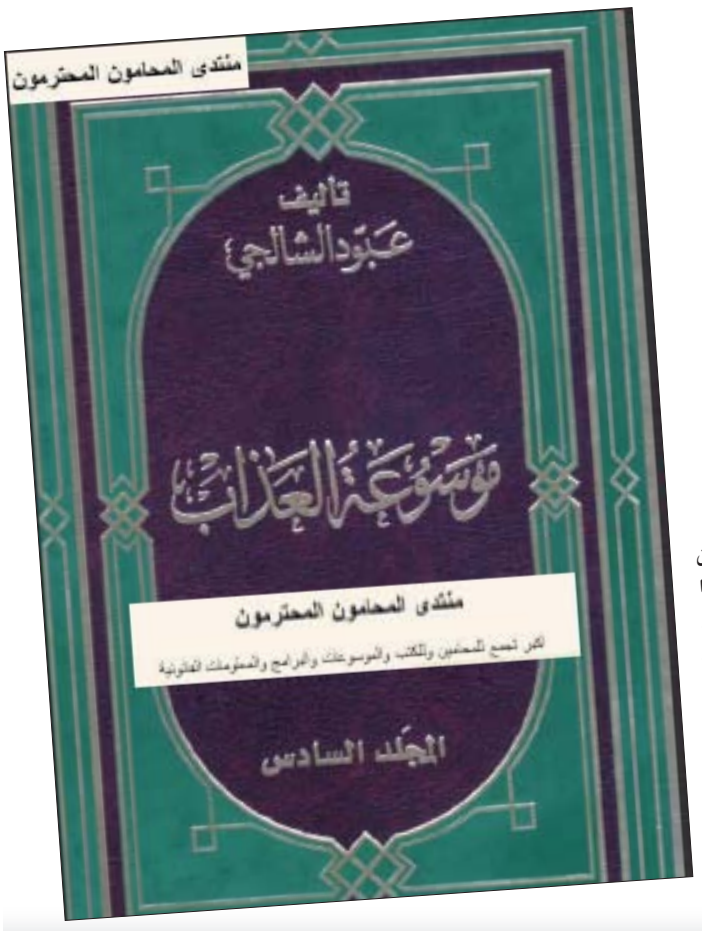

عبود الشالجي في النقد التراثي

وكـــتـــاب صـــــورة تـاريـخـيـة

رفعة عبد الرزاق محمد

اذا ذكر عالم التحقيق التراثي في العراق، ذكرت اسماء عديدة، جديرة بالتنويه والتقدير، لم تسلط عليها الاضواء الا قليل. ومن هؤلاء المرحوم عبود الشالجي، المحقق الثبت والمؤلف الكبير والمترجم الدقيق. وفي السطور التالية نطل على حياة الشالجي واثاره منتهزين الفرصة لتذكير من يعنيهم امر الفكر العراقي وتراثه بامر اعماله المخطوطة.. وهي حرية بالنشر والذيوع.

حياته:

هو عبود بن مهدي بن محمد بن احمد الشالجي، نسبة الى مدينة "شلج" احدى مدن منطقة الدجيل.. اذ كان اجداده من المزارعين هناك، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان: شلج بكسر اوله وسكون ثانيه، قرية قرب عكبرا، وهي مع شاطئ دجلة. ويذكر الشالجي في بعض اوراقه ان الماء انقطع من الدجيل فجلا اهلها الى انحاء مختلفة فاقام بعضهم في الكاظمية، وبعضهم في الاعظمية، وبعضهم في اماكن متفرقة من بغداد، اما اسرته فقد تديرت محلة (عمار سبع ابكار) من محلات الجانب الشرقي من بغداد، وعملت في مهن صناعية وتجارية عديدة.

ولد الاستاذ عبود الشالجي في بغداد يوم الخميس الاول من ربيع الاول سنة ١٣٢٩هـ الموافق للثاني من آذار سنة ١٩١١، بدأ تحصيله في كتاب المحلة ثم المدرسة الابتدائية والمتوسطة في المدرسة الجعفرية، وهي من المدارس الاهلية المرموقة ببغداد يومذاك. ومن اساتذته الذين انتفع بهم في هذه المدرسة المرحوم صادق الملائلة، التربوي والاديب القدير. ثم دخل المدرسة الثانوية (المركزية)، فوجد عالما رحبا من العلم والثقافة الحديثة وهو يذكر بالخير عددا من اساتذته الاجلاء مثل المرحوم طه الراوي الذي زامله يعد في مجلس النواب حين عين الشالجي كاتبا فيه. وكان الراوي قد شغل وظيفة سكرتير مجلس الاعيان، ومن محاسن الايام ان يكون زميله في الوظيفة نفسها اد الادباء الشبان، هو المرحوم مصطفى علي.

وكان الاستاذ الشالجي قد دخل كلية الحقوق بغداد في السنة الدراسية ١٩٢٦-١٩٢٧ وتخرج فيها سنة ١٩٢٩ – ١٩٣٠ وهو لم يزل موظفا في مجلس النواب، وقد ذكر الشالجي انه كان من الكتاب الذين دونوا خطبة المرحوم عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء، التي انتحر على اثرها مساء الثالث عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٩، وبعد تخرجه عين بوظيفة (كاتب ضبط) في المحاكم المدنية وله فيها ذكريات جميلة ومهمة، ومنها قضية المكاتيب السرية التي اقضت مضاجع الحركة السياسية في العراق في اوائل الثلاثينات واتهم بها المرحوم مزاحم الباجه جي وثلة من اصدقائه.

وفي سنة ١٩٣٣ عين حاكماً في المحكمة المدنية وتنقل في انحاء مختلفة من مدن عراقنا العزيز حتى استقالته سنة ١٩٤٠ اثر خلاف وقع بينه وبين وزير العدل فآثر الانصراف الى المحاماة واصبح من المحامين الاكفاء الذين شهدت ساحات القضاء مواقف مشهودة له، وفي سنة ١٩٦٩ احال نفسه الى التقاعد واستقال من نقابة المحامين وانتقل الى لبنان طلبا للراحه والاستجمام والتفرغ التام للقراءة والبحث والتحقيق. وبعد اندلاع الحرب الاهلية في لبنان ارتحل الى (ليماسول) في قبرص ثم استقر في لندن حتى وفاته فيها يوم الاحد الرابع عشر من نيسان ١٩٩٦م.

وكان الاستاذ عبود الشالجي قد انخرط في بعض النشاط السياسي، فقد كان احد اعضاء الهيئة الادارية المؤسسة للحزب الوطني الديمقراطي سنة ١٩٤٦ثم اثر الاستقالة من الحزب مع اعضاء اخرين احتجاجا على ما سموه بالتغلغل اليساري ونفوذه في الحزب.

اثاره:

عكف الشالجي على التاليف والتحقيق بعد تقاعده عن المحاماة وانتقاله الى لبنان، وقد وجد متسعا من الوقت لاخراج تلك السلسلة الذهبية من الكتب النادرة، سواء من مؤلفاته او من تحقيقاته.

فاثاره المطبوعة هي:

١- الكنايات العامية البغدادية (بيروت ١٩٧٩)

٢-موسوعة الكنايات العامية البغدادية ط١-٣ (بيروت)

٣- موسوعة العذاب ج١ – ٧ (بيروت).

٤- الرسالة البغدادية ، ابو حيان التوحيدي (بيروت ١٩٨٠) تحقيق.

٥- الفرج بعد الشدة، القاضي ابو علي التنوخي (بيروت) تحقيق في خمسة اجزاء.

٦- نشوار المحاظرة واخبار المذاكرة للتنوخي (بيروت) تحقيق في ثمانية اجزاء.

وله بعض المقالات القيمة، نشرها في اماكن مختلفة وهي:

- الرواتب في الاسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٦ لسنة ١٩٧٥

- ملاحظات على كتاب البصائر والذخائر للتوحيدي، مجلة (البلاغ) البغدادية في ثلاث حلقات في الاعداد الثالث لسنة ١٩٧٧ السادس لسنة ١٩٧٨ التاسع لسنة ١٩٧٩.

- مقدمة ديوان الحاج عبد الحسين الازري (بيروت ١٩٨٠).

اما اثاره المخطوطة، فنذكر اولا ان قسما منها صارت عرضة للحرق في الحرب اللبنانية الاهلية سنة ١٩٧٥ (معارك بحمدون) بعد ان اعدت للطبع.

١- الرواتب في الاسلام.

٢- المائدة في الاسلام

٣- الاثمان في الاسلام ط١-٢

٤- الصداق في الاسلام

٥- تطور الطب والجراحة في الاسلام

٦- الالعاب في الاسلام

٧- الخبر بين صاحب الخبر وصاحب البريد.

٨- الطرائف ١-٣

٩- اخر ما قالوا

١٠- كيف ماتوا

١١- الامثال والكنايات في شعر ابن الحجاج.

١٢- عربستان او بلاد الف ليلة وليلة. رحلة للامريكي بيري فوك. ترجمة واعده للنشر سنة ١٩٥٩ وقد طبع على الالة الكاتبة. نشر الفصل التاسع عشر والفصل الخامس والعشرين منه في مجلة (سومر) العدد ١-٢ (١٩٦٠) .

١٣- رحلة الى اور وسوسيان لوفتس ترجمة اعدها للنشر سنة ١٩٦١ وطبعت على الالة الكاتبة.

طرائفه:

ذكر الاستاذ حسين الكرخي في مخطوطته "ظرفاء بغداد" شئيا من ظرف المرحوم عبود الشالجي فقال:

وهو كأي بغدادي اصيل ظريف، والظرف طبع فيه لا يفتعله ولا يتكلفه وكان مجلسه في مكتبه ببغداد ملتقى الوجوه البغدادية من اهل الادب والعلم والسياسة والظرافة وله مداعبات ونوادر اخوانية كثيرة امتثل بباقة ندية منها هنا.

حين كان قاضيا في مجلة اراد صاحب دعوى التزلف اليه فقد وقر الى ذهنه ان امرا صدر بترقيته في حين انه امر نقله الى الموصل، فطير له برقية تهنئة فاجابه الشالجي بالبيتين الساخرين:

الحمد لله على ما حبا
اوشكت الغمة ان تنجلي
درهمكم قد ضاع منكم سدى
فقد تحولت الى (الموصل)

والدرهم كما هو معلوم اجرة ارسال البرقية.

وعندما كان المرحومان يونس السبعاوي وعبد الهادي الظاهر يعملان في مكتب محاماة مشترك، وعند حلول احد الاعياد داعبها الشالجي ببيتين شعر ارسلهما الى صديقه الظاهر، وهما:

كل عيد وانت في خارج الحكم
معنى بباطلات الدعاوي
يئس الناس من نجاح دعاو
انت فيها ويونس السبعاوي

الشالجي يوثق المنطوق في الحياة اليومية

كوثر جاسم

هذا كتاب جامع في الكنايات العامية البغدادية، وكنايات كل قوم تشتمل على اخبار ماضيهم، واحداث حاضرهم، وتشير الى مايحبون ومايكرهون، وما يحترمون وما يحتقرون، ويتبين منها مايدل على طبيعة اهلها، وسلوكهم، في مختلف ظروفهم واحوالهم.

وكان المؤلف المحامي عبود الشالجي، الذي الف كتاب(موسوعة الكنايات العامية البغدادية) بجزئه الاول، الذي يعد من خزائن دار الكتب والوثائق، قد جمع في سنة ١٩٧٦ موجزا في الكنايات العامية البغدادية، وكان يقيم انذاك في مدينة بحمدون من لبنان ، وألجاته ظروف الامن الى ان يترك بحمدون الى زحلة ، حيث مكث فيها عشرين يوماً بلا عمل ، فآثر ان يشتغل بجمع مااستوعبته ذاكرته من الكنايات العامية البغدادية وجمع ما امكنه جمعه منها ، ولما عاد الى بحمدون اضاف اليها بعض مارضي اضافته. واخرجها في كتاب سماه كتاب الكنايات العامية البغدادية ، وذكر في مقدمته بأنه قد دون، لما كان في بغداد، مجموعة من الكنايات العامية البغدادية ، وحالت كثرة اشغاله دون اتمامها، ولما قام بتحرير ذلك الموجز ، كانت المجموعة التي حررها في بغداد بعيدة عنه، وتأخر وصولها اليه ، فاخرج الموجز على مافيه من نقص ، عملا بقول الامام علي (عليه السلام) : لاتستح من اعطاء القليل فإن الحرمان اقل منه، ثم وصلت اليه مجموعة الكنايات التي خلفها في بغداد، فاعاد تنظيمها وترقيمها ، واضاف اليها ما أضافه من اخبار واشعار ، فجاء كتابا جامعا في الكنايات العامية البغدادية، ولذلك وسمه بالموسوعة ، وقد حرص على ان يجمع فيه ما امكنه جمعه من الكنايات العامية البغدادية ، مع استقصاء اصولها ، وتفسير غريبها ، وايضاح معانيها ، وذكر المناسبة التي قيلت فيها ، مع مقابلتها بما يماثلها او يقاربها من الكنايات القديمة ، وقد استشهد في ثنايا الكنايات بأبيات من القريض وبأبيات من الشعر العامي ، من نظم الشاعر الشعبي الملا عبود الكرخي رحمه الله ، وربما كرر اثبات البيت من القريض او العامي اكثر من مرة ، لضرورة اقتضت تكرار اثباته ، اذ يجد ذلك اجدى من الاشارة الى الفقرة التي اثبت فيها ذلك.

والكنايات العامية البغدادية ، تنقسم الى اقسام ، منها الكنايات العامة، التي يشارك البغداديين فيها اي جميع الناس، مثل قولهم : سفينة نوح، او برج بابل، ومنها الكنايات العربية، مثل قولهم: حرب البسوس، او دم كليب، او قفا نبك، ومنها الكنايات الاسلامية، مثل قولهم: شعرة معاوية، او اقتلوني ومالكا، او ابن ملجم، او ظلم الحجاج، ومنها الكنايات العراقية، مثل قولهم: بعد خراب البصرة، او بين العجم والروم، او قانون عفج، او ولاية بطيخ، او برمكي، او ابو ناجي، ومنها الكنايات البغدادية، مثل قولهم: بزونة حسين الطعمة، او خان جغان، او اخباري، او صندوق الولايات، او تعال فهم الاغا، او ابيض وبيض، او خبز باب الاغا.

وأدرج المؤلف فيه جميع ماوعته ذاكرته في حينه من الكنايات، وفيها الغث وفيها السمين، في بعضها ماينجذب اليه الطبع، وفي البعض الاخر ماينبو عنه السمع ، وقد رأى ان اثبات بعضها ، واغفال البعض الاخر يخل بأمانة النقل، فاوردها بعجرها وبجرها (كناية قديمة) واثبتها بصوفها ولبنها (كناية موصلية) وساقها بتبنها (كناية بغدادية) لكي لايوجه اليه عتب بأنه قد اورد البحث ناقصا، وقد وجد ان البعض من المؤلفين يتحاشون ايراد الالفاظ التي تذكر فيها العورات تحرجا، او خوفا من اللوم، او رغبة في وصفهم بالتقوى، لكن مؤلف هذا الكتاب ليس من رأي هؤلاء ذلك أنه رأى أن اثبات الكل يمكن الباحث من الاطلاع اطلاعا تاما على واقع الحال ، اما اثبات البعض وترك الباقي فهو افتئات على الحقيقة التي يجب ان تحترم.

كلمة وفاء في وداع الاستاذ المحقق عبود الشالجي

عبد الحميد الرشودي

فإنَّ بك أَفنته الليالي فأوشكت
فان له ذكراً سيغني اللياليا
أيها السادة الاجلاء الأوفياء

أحييكم أكرم تحية وأبارك لكم وفاءكم وإخلاصكم وانتم تجتمعون هذا المساء في هذا الندي الكريم ملتقى اهل العلم والادب والفضل لتؤبنوا علما بارزا من اعلام الادب والتحقيق وفقيها من فقهاء القانون ذلكم هو المرحوم المبرور الاستاذ الجليل السيد عبود الشالجي رحمه الله واكرم مثواه وجعل جنة الخلد مأواه وهذا دليل على وفائكم في زمن غاض فيه الوفاء وانقطع الرجاء وبرهان جلى على فضلكم وكريم شمائلكم فما يعرف الفضل إلا ذووه.

سأدتي الأفاضل

لم يكن الرزء بوفاة الشالجي مقصورا على اسرته واصدقائه واودائه بل هو رزء امة باجمعها فما كل يوم تجود الايام بمثله وامل ان لا تحول رهبة الموت وجلال الذكرى دون الوقوف على الملامح البارزة من سيرته الذاتية ورصد نتاجه في التحقيق والتأليف والترجمة.

ولد الفقيد في بغداد صباح يوم الخميس اول ربيع الاول سنة ١٣٢٩هـ فقد كتب الي رسالة من لندن بتاريخ ٢٨/ تموز ١٩٩٤ يقول في ختامها: "بقي على شيء واحد احببت ان اخبرك به وهو ان امي ، رحمها الله، اخبرتني بانني ولدت صباح يوم الخميس اول ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاث مئة والف. وكنت قد راجعت كتاب "التوقيعات الالهامية" فظهر لي ان ذلك التاريخ يطابق اليوم الثاني من شهر آذار ١٩١١م فارجو منك ان تعيد المطابقة.

وبناء على رغبته فقد رجعت الى كتاب "التوفيقات الالهامية" تأليف اللواء المصري (محمد مختار باشا) المطبوع سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٣م هي ٦٦٥ فوجدت التاريخ مطابقا لما ذكره وقد كتب في حينه بواقع الحال.

كان اجداده من المزارعين في قرية (شلج) احدى القرى الواقعة على نهر الدجيل وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان ٣٥٨/٣ بقوله: شلج: بكسر اوله وسكون ثانيه، قرية قرب عكبرا وهي على شاطئ دجلة.." وقد نزح جماعة منهم الى بغداد ونزلوا مناطق مختلفة في الكاظمية والاعظمية ومناطق اخر من بغداد فاما اسرته فقد اتخذت من محلة (عمار سبع ابكار) مستقراً لاقامتها وكانت اول خطوة خطاها فتانا في طلب المعرفة يوم توجه الى كتاب المحلة ثم الى المدرسة الابتدائية وبعد تخرجه فيها اكمل الدراسة المتوسطة في المدرسة الجعفرية ومن اساتذته الذين اقتنع بهم في هذه المدرسة الاستاذ السيد صادق الملائكة وبعد تخرجه في هذه المدرسة انتمى الى المدرسة الثانوية الرسمية وهو يذكر بالخير الاستاذ السيد طه الراوي مدرس اللغة العربية وادابها في هذه المدرسة وقد شاءت المقادير ان يزامله بعد في مجلس الامة حين عين الشالجي كتابا في مجلس النواب وكان استاذه الراوي يشغل وظيفة سكرتير مجلس الاعيان ومصطفى علي يشغل وظيفة كاتب في المجلس وكان المجلس – يومئذ – يشغل بناية مستشفى الكرخ قبل نقله الى بناية جامعة آل البيت في قصبة الاعظمية فجدد الطالب الفتى عهده باستاذه الجليل ووثق صلته بزميله الاديب مصطفى علي.

وبعد تخرج الشالجي في الثانوية وظفره بشهادتها انتسب الى كلية الحقوق في السنة الدرسية ١٩٢٦/ ١٩٢٧ وتخرج فيها سنة ١٩٢٩ / ١٩٣٠.

وقد ذكر الشالجي انه كان من الكتاب الذين دونوا خطبة المرحوم السيد عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء الذي انتحر مساء الثالث عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٩.

وبعد تخرجه في كلية الحقوق اراد ان يستفيد من دراسته القانونية فعين بوظيفة (كاتب ضبط) في المحاكم المدنية وهو يذكر انه كان كاتب ضبط في قضية (المكاتيب السرية) التي اتهم بها السيد مزاحم الامين الباجه جي وجماعة آخرون.

وبعد ان قرن دراسته القانونية النظرية بالخبرة والتجربة التطبيقية عين حاكما في المحاكم المدنية وتنقل في انحاء مختلفة في مدن العراق من جنوبه الى شماله حتى اضطر الى الاستقالة سنة ١٩٤٠ اثر خلاف وقع بينه وبين وزير العدلية فانصرف الى مزاولة المحاماة فاستطاع بكفايته وذكائه ان يكون في طليعة كبار المحامين وقد كان احد اعضاء الهيئة التأسيسية للحزب الوطني الديمقراطي التي تقدمت في ٥ آذار سنة ١٩٤٦ الى وزارة الداخلية بطلب تأسيس حزب سياسي باسم الحزب الوطني الديمقراطي وهم: كامل الجادردجي ومحمد حديد وعبد الكريم الازرني ويوسف الحاج الياس وحسين جميل، وعبد الوهاب مرجان وعبود الشالجي وصادق كمونة، وبعد ان سلخ قرابة ثلاثين سنة في المحاماة انس في نفسه رغبة للراحة والاستجمام فاستقال من نقابة المحامين سنة ١٩٦٩.

فكانت اخصب حقبة في حياته واغزرها تحقيقا وتاليفا فانجز خمسة وعشرين مجلدا منها (١٤) تحقيقا و(١١) تأليفا وقد تم طبعها طبعا متقانا وتجليدها تجليدا فنيا ممتازا وهي:

١- نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للقاضي التنوخي (٨) مجلدا و(تحقيق).

٢- الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ايضا (٥) مجلدات (تحقيق).

٣- الرسالة البغدادية لابي حيان التوحيدي مجلد واحد (تحقيق).

٤- الكتابات العامية البغدادية مجلد واحد (تاليف).

٥- موسوعة الكتابات العامية البغدادية (٣) مجلدات (تأليف).

٦- موسوعة العذاب (٧) مجلدات تأليف.

هذا بالاضافة الى مسودات مؤلفات كاملة احرقت في غزوة مجمدون وقد ذكر ان بعض هذه الكتب كانت قد صفت حروفها واعدت للطبع وقد بلغت هذه الكتب (١٣) مجلداً وهي:

١- الرواتب في الاسلام ج١.

٢- المائدة في الاسلام ج١

٣- الاثمان في الاسلام جزءان.

٤- الصداق في الاسلام.

٥- تطور الطب والجراحة في الاسلام ج١

٦- الالقاب.

٧- الخبر بين صاحب الخبر والبريد ج١

٨- طرائف في ثلاثة مجلدات.

٩- ماعاينت ج١

١٠- ما سمعت ج١

١١- ما قرأت .

١٢- آخر ما قالوا.

١٣- كيف ماتوا.

واخيراً وليس آخر كتاب (الامثال والكتابات من شعر ابن الحجاج) فقد كلف الشالجي بشعر ابن الحجاج ودار في ذلك اخباره ونوادره وملحه وانفق عشر سنوات وهو دائب في جمع شعر من مختلف مكتبات العالم وبعد جهد جهيد حصل على نسخ مصورة من بعد اجزاء الديوان وحين تعذر عليه الحصول على الديوان كاملا ارتأى ان يستخلص مما توفر لديه من شعر ابن الحجاج الامثال والكتابات ذلك ان شعر ابن الحجاج كافح بها فاستقامت لديه طائفة كبيرة منها فتعهدها بالشرح والتعليق ورتبها على حروف المعجم من الالف الى الياء وهي وان كانت لا تجزي عن الديوان ولا تغني غناه الا ان فيها ما يمسك الرمق ويبل الصدى

لم يكن الرزء بوفاة الشالجي مقصورا على اسرته واصدقائه واودائه بل هو رزء امة باجمعها فما كل يوم تجود الايام بمثله وامل ان لا تحول رهبة الموت وجلال الذكرى دون الوقوف على الملامح البارزة من سيرته الذاتية ورصد نتاجه في التحقيق والتأليف والترجمة.

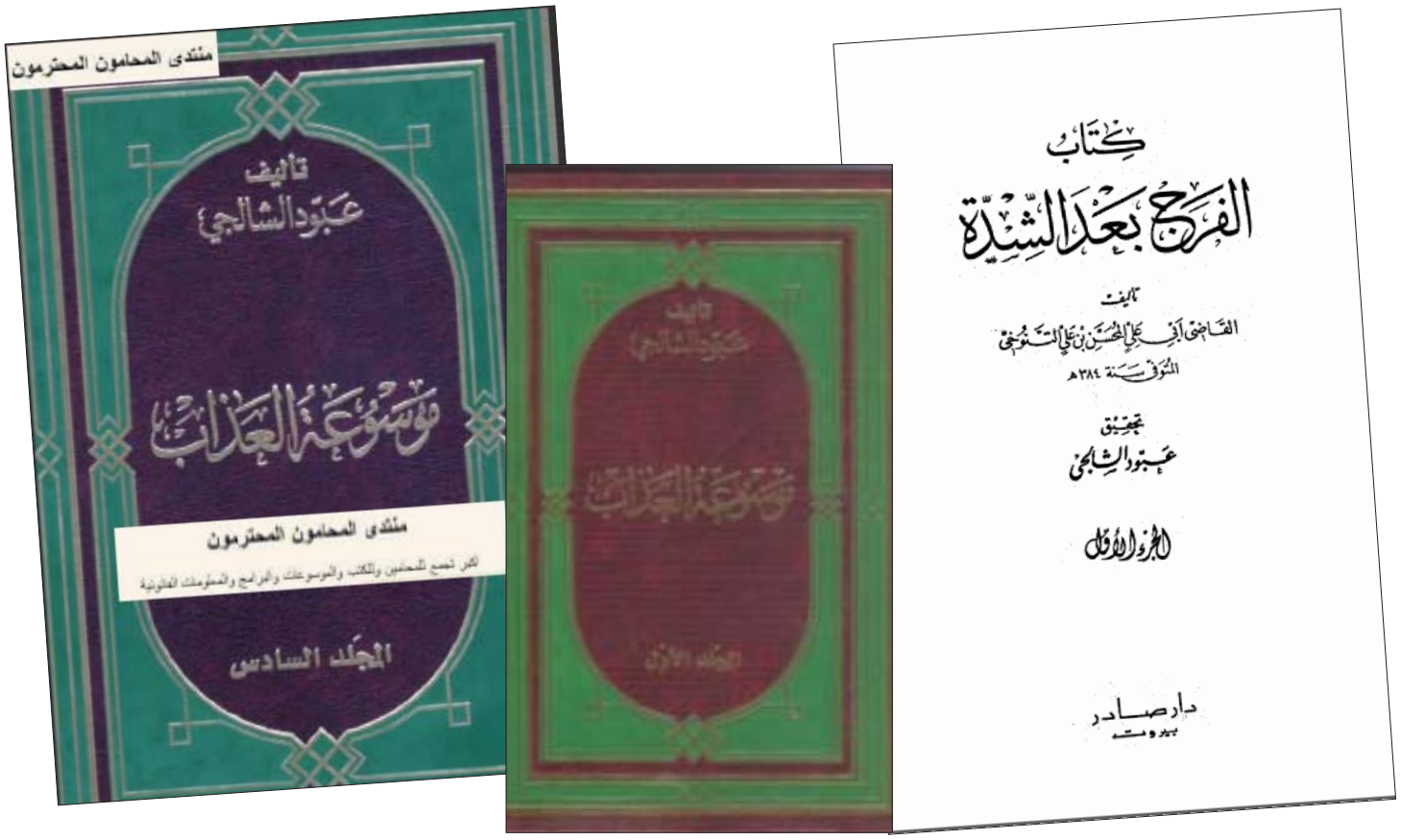

ومالا يدرك كلمة لا يترك جله.

لقد فرغ المرحوم الشالج من وضع هذا الكتاب قبل بضع سنوات قدمه الى وهو في المسودة طالبا ان اعيد نسخه في المبيضة ما ستجت لطلبه وحققت رغبته ثم اعدته اليه فعكف على مراجعته الا انه توقف عن الكتابة المرقمة (٥٨٣) فقد اعجله المرض المفاجئ الى التماس العلاج والسفر الى خارج العراق وكان المأمول ان يعود الى الوطن ويستأنف مابدأ به الا ان مدة العلاج قد طالت وطال معها مكثه فقد تسلمت منه رسالة تحمل تاريخ ١٩٩٣/٨/٢٣ يطلب اليّ فيها ان اتولى مراجعة الكتاب وتدقيقه وكتابة مقدمة له وتهيئته لطبع وقد حاولت الاعتذار من ذلك ولكن معاذيري ذهبت ادراج ارياح اما اصرار وتصميم الصديق الكريم فلم اجد فرحة عن امتثال طلبه وتحقيق رغبته فعكفت على مراجعة الكتاب وانا اشعر بثقل الامانة اعظم التبعة فافرغت في ذلك وسعي وبذلت جهدي حتى انجزته كاملا على حين كنت انتظر ادبته الى الوطن لازمته اليه البشري اذا صوت النعي سبق صوت البشير فانا لله وانا اليه راجعون رحم الله فقيدنا الغالي جزاه كفاء ما اعطى للادب والتراث فقد حرث ارضا بكرا وارتاد منا انفاً (مجلس الخاقاني ١٩٩٦/٦/١٧).

الامثال والكتابات في شعر ابن الحجاج
تقييم

كانت الاستاذ الجليل المحقق السيد عبود الشالجي قد كلف بشعر ابن الحجاج ودار في فلك اخباره ونوادره وملحه وقد انفق عشر سنوات وهو دائب في جمع شعره من مختلف مكتبات العالم وبعد جهد جهيد حصل على نسخ مصورة من اجزاء الديوان ولما تعذر عليه الحصول على الديوان كاملا ارتأي ان يستخلص مما توفر لديه من شعر ابن الحجاج الامثال والكتابات ذلك ان شعر ابن الحجاج طافح بها فاستقامت لديه طائفة كبيرة من تلك الامثال والكتابات فتعهدها بالشرح والتعليق ورتبها على حروف المعجم من الالف الى الياء وهي وان كانت لا تجزي عن الديوان فان فيها ما يسد فراغا ويبل صدى وما لا يدرك كلمه لا يترك جملة. وسبيل التعبير بالكتابة عند البلاغيين: ان تنظر الى المعنى الذي تريد اداءه فلا تعبر عنه باللفظ الدال عليه لغة بل تقصد الى لازم لهذا المعنى فتعبر عنه وتفهم به ما اردت قال الشاعر:

اكملت دما ان لم ارعك بضرة
بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

فقد كنى بقوله: "اكلت دما" عن الاية واكلها من الامور القبيحة التي تانف منها العرب: وكنى بقوله "بعيدة مهوي القرط" عن طول رقبتها وهو مستملح عندهم بل يعتبر الغاية في الجمال وكمال الخلق.

وليس ثمة ريب ان التعبير بالكتابة ينطوي على فوائد جمة ففي المعاريض كما تقول الغرب في امثالها – مندوجة عن الكذب كما ان فيها سعة عن قصد الكذب وتعمده، الذي يخل بالمروءة ويحيط من كرامة صاحبه.

١- التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة بالكتابات اللطيفة وابدال ما يفحش ذكره في الاسماع بما لا تنبو عنه الطباع قال تعالى: "واذا مروا باللغو مروا كراما" اي كنوا عن لفظه ولم يورده فانهم اكرموا انفسهم عن التلفظ به كما يروي عن بنت اعرابي صرخت صرخة عظيمة فقال لها ابوها: مالك؟ قالت لدغني عقرب، قال لها اين؟ قالت في الموضع الذي لا يضع فيه الراقي انفه وكاتب اللدغة في احدى سواتيها فتنزهت بذكرها عن لفظها.

٢- ترك اللفظ المتطير من ذكره الى ما هو اجمل والطف كقولهم لعق فلان اصبعه، واستوفى اكله ولحق باللطف الخبير يكنون به عن الموت فعدلوا الى هذه الالفاظ تطيرا من ذكره بلفظه.

٣- القصد الى الذم بلفظ ظاهره المدح كقولهم ارانيه الله اغر محجلا اي مقيداً.

٤- الكتابة عن الصناعة الخسيسة بذكر منافعها كما قبل للحائك ما صنا عنك؟ فقال: زينة الاحياء وجهاز الموتى.

٥- ما يجري بين الادباء والبلغاء ومداعباتهم بمعاريض الكلام، حكي ان رجلا من تميم قال لشريك النمري ما في هذه الجوارح احب اليك من البازي؟ قال نعم اذا كان يصيد القطا، وكل منهما فصعد مقصدا فهمه الاخر.

لقد جعل القرآن الكريم والاثار النبوية بالكتابات فقد كنى القرآن الكريم عن الفروج بالجلود في قوله تعالى "وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا" كما كني عن الجماع بالملامسة في قوله تعالى: "اولا مستم النساء فلم تجدوا ماء فما نكتبه هي فرار من ذكر ما يقبح الى ما يجعل وقد كنى البني (ص) عن الدخول بقوله: "من ارخى سترا واغلق بابا وحب عليه المهر".

وقوله في مثل هذا المعنى: "من كشف قناع امرأة وجب عليه المهر".

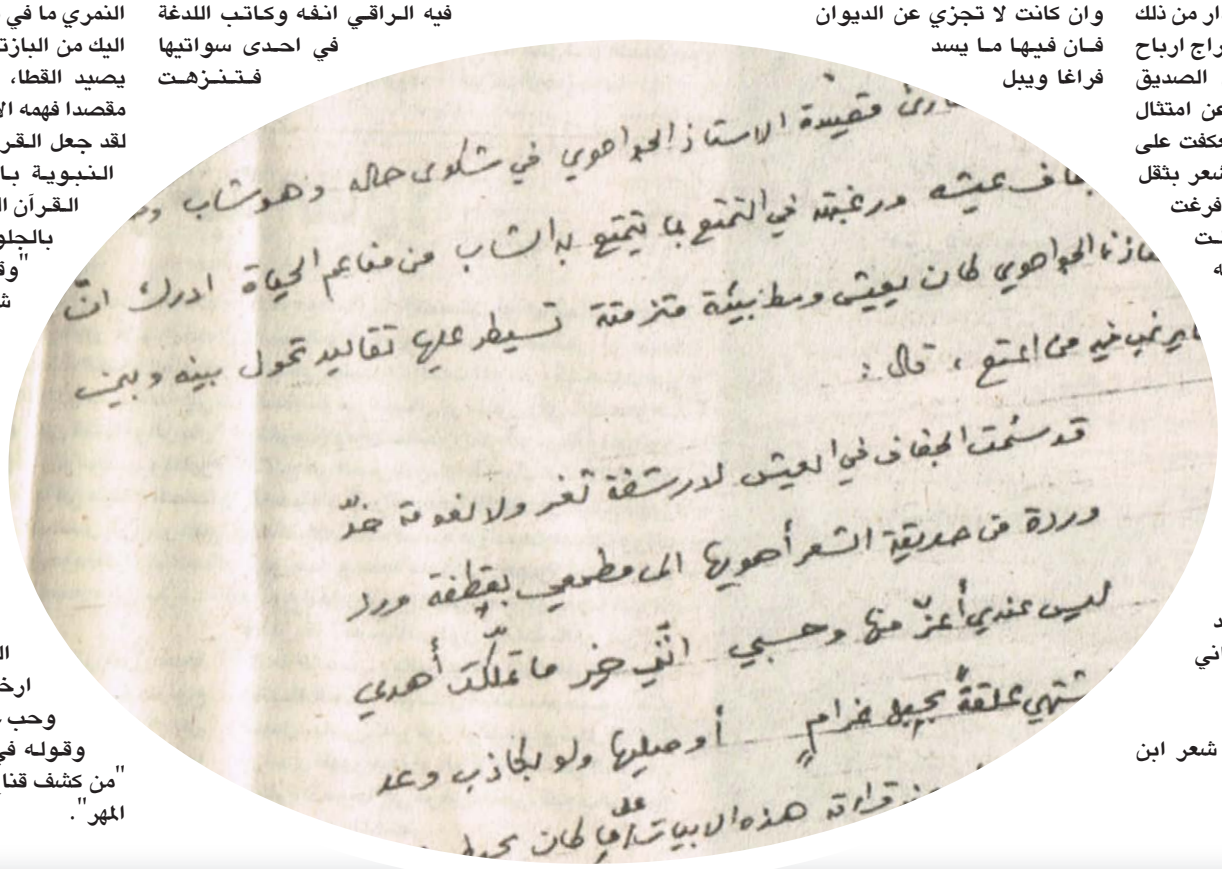

لقاء مع الباحث المحقق الأستاذ عبود الشالجي

لقاء أجراه: ابراهيم القيسي
صحفي راحل

في مجلس أدبي مصغر، من مجالس بغداد، العامرة بالخير، المعمورة بالسلام والكلمة الطيبة، شهدته دار الأديب الحقوقي عبد المحسن البغدادي، ضم نخبة من الادباء والكتاب والمعنيين بالتراث بينهم: الدكتور عبود البلداوي، والدكتور كاظم السعيدي، والاساتذة: عبد الحميد الرشودي وعبد الرزاق الجزار، وحسين الكرخي، وسالم الآلوسي، تعرفت خلاله على الأستاذ الباحث المحقق عبود الشالجي المحامي.

وقبل سبع سنوات – على وجه التقريب – ناولني الأستاذ ميخائيل عواد – عضو المجمع العلمي العراقي، ورقة صغيرة، كتب بخطه على احد وجهيها (مشوار المحاضرة للقاضي التنوخي – ثمانية أجزاء – تحقيق الأستاذ عبود الشالجي)، وعلى وجهها الآخر (الفرج بعد الشدة – للتنوخي – خمسة أجزاء – تحقيق الشالجي أيضا) ثم قال:

"حاول أن تقرأ هذه الكتب، وان تتعرف على محققها الصديق الشالجي".

× وانني مازلت احتفظ بتلك الورقة، وكأنها (عملة ورقية) ذات قيمة نقدية وأثرية عالية!.

× وكان الاستاذ الشالجي يومها خارج العراق، يستجمع، ويؤلف ويحقق، وكنا نسأل عنه ونتفقد أخباره، ونطالع ما يصل الينا من نتاجاته الأدبية والتراثية العديدة.

× وأخيرا، ومنذ بضعة أشهر، عاد القاضي التنوخي الوريث الى ارض الوطن، يحدوه الحنين الى العراق، فسعد به اهله وأصدقاؤه وعارفو علمه وفضله وأدبه، وسعد بهم (قور عينا بالإياب المسافر)، وكانت زيارات ولقاءات، توطدت بيننا المعرفة، وأنشدت علاقة وصداقة (والأرواح جنود مجندة: ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) كما ورد في الحديث الشريف لسيد الأنام، الرسول المصطفى محمد بن عبد الله الأمين (ص).

× ثم كان هذا اللقاء...

××××

× قال الاستاذ الشالجي (أبو حازم) يروي لنا سطر من سيرته العلمية والذاتية، بناء على طلبنا.

– انا عبود بن مهدي بن محمد بن احمد الشالجي، وأهلي من المزارعين في مدينة (شلج) احدى المدن الواقعة على نهر الدجيل، فلما انقطع الماء على الدجيل، تفرق أهل شلجفي البلدان، ونزح جماعة منهم إلى بغداد، واستوطنوها واستقروا في نواحيها، فاقام بعضهم في الكاظمية، وبعضهم في الأعظمية، وأقام الباقون في مواضع متفرقة من بغداد، وأقام أهلي في منطقة (عمار سبع بكار).

– أكملت التحصيل الابتدائي والمتوسط في المدرسة الجعفرية، وأكملت الدراسة الثانوية في المدرسة الثانوية الرسمية، وانتسبت في السنة ١٩٢٧/٢٦، إلى كلية الحقوق، وتخرجت فيها في السنة ١٩٣٠/٢٩، وكنت إذ ذاك – كاتبا في مجلس النواب، وكنت ممن دون خطبة المرحوم عبد المحسن السعدون، تلك الخطبة التي انتحر على أثرها، وفي السنة ١٩٣١ انتقلت على اثر تخرجي في كلية الحقوق إلى المحاكم (كاتب ضبط) وكنت كاتب الضبط في قضية (المكاتب السرية) المشهورة التي اتهم بها المرحوم مزاحم الباجه جي ورفاقه (وفي مكان اخر من هذه الصفحة بعض إيضاحات المحرر عن هاتين القضيتين الهامتين والمهمتين).

– وعينت في السنة ١٩٣٣ حاكما في المحكمة المدنية، وفي السنة ١٩٤٠ انتقلت الى المحاماة، وفي السنة ١٩٦٤، احلت نفسي الى التقاعد وقد بلغت الستين من عمري، وانتقلت الى لبنان حيث تفرغت للقراءة والكتابة، وأخرجت لقراء العربية خمسة وعشرين مجلدا، منها (١٤) مجلدا من تحقيقي، واحد عشر مجلدا من تأليفي.

× أي هذه المجلدات تأليفا، وأيها تحقيقا؟

– التحقيق هذه الكتب: (مشوار المحاضرة وأخبار الذاكرة) للقاضي التنوخي (٨ مجلدات)، و(الفرج بعد الشدة) له ايضا (٥ مجلدات)، و١٠الرسالة البغدادية) لابي حيان التوحيدي (مجلد واحد).

– اما التأليف فهي: (الكتابات العامية البغدادية) مجلد واحد، و(موسوعة الكنايات العامية البغدادية (٣ مجلدات)، و(موسوعة العذاب) ٧ مجلدات.

× وفي البدايات الأولى، كيف تعلقتم بالأدب العربي؟

– يرجع الفضل في تعلقي بالأدب العربي إلى أستاذين جليلين هما: السيد صادق الملائكة رحمه الله، استأذنا في علوم العربية في المدرسة الجعفرية، والسيد طه الراوي رحمه الله، استأذنا في علوم العربية أيضا ولكن في المدرسة الثانوية (المركزية).

×××

× ما الذي حبب القاضي التنوخي إليكم؟ .. وما هي أوجه الشبه بينك وبينه؟

– إعجابي أولا بأسلوبه في الكتابة، وفي إيراده الحوادث: أما أوجه الشبه الموجودة بيني وبينه فقد كان قاضيا، وكنت كذلك، كان متأدبا وكنت كذلك، وكان بعيدا عن خوض غمار السياسة، وكنت كذلك وكان ينظم شعرا متوسطا، وكنت كذلك، وكان قد ترك موطن سكناه حينا من الزمن وكنت كذلك. وقد دفعني إعجابي به إلى السير على غراره في (مشواره) اذ دونت فقرات اشتملت على الف فقرة في مواضيع شتى، وكنت على وشك ان اقوم بنشرها، إلا أن الزمن تعداها!.

×××

× كان المستشرق الألماني (ادم ميتز) قد حقق رسالة تنسب إلى أبي المطهر محمد بن احمد الازدي، ونشرها تحت عنوان (حكاية ابي القاسم البغدادي) وقمتم انتم بتحقيق مجددا ونشرها بعنوان (الرسالة البغدادية، وقد ترجح لديكم أنها لأبي حيان التوحيدي.

السؤال: ما هي دلائل صحة ما ذهبتم اليه؟

– أيد لي بالدليل القاطع بان ما نشره (ادم ميتز) باسم، حكاية أبي القاسم البغدادي، هو (الرسالة البغدادية) للتوحيدي، وقد فصلت ذلك في مقدمتي للرسالة، ولك أن تلخصها للقراء، زيادة في الإيضاح (لخصناها الى جانب هذا الحوار في زاوية – مقدمات الكتب).

×××

× شرعتم بتحقيق ديوان (الحسين بن الحجاج) منذ مدة ليست بالقصية، فما هي المراحل التي قطعتموها في هذا الصدد؟

– عندما حققت الرسالة البغدادية، وجدتها مشحونة بشعر ابن الحجاج، ولكنه كان شعر المبادل الذي أفرط فيه بذكر العورات، فلم استحسنه ولم أرحب به، ولكني بعد أن انتقلت إلى لندن، وجدت في مكتبة المتحف البريطاني، نسخة لجزء الثاني من ديوانه، ووجدت في مكتبة جامعة لندن، الجزء العاشر منه، فتغير رأيي في هذا الشاعر، وفي شعره، اذ وجدت فيه ما يؤهله ليكون في عداد العظماء من الشعراء، كما وجدت أن عددا من الأدباء قد عنى بدرس شعر ابن الحجاج، وكتبوا عنه أطروحات، نالوا بها شهادة الدكتوراه من جامعات فرنسا وانكلترا والمانيا، وبدأت بالبحث عن الكتب التي اجد فيها أجزاء من شعره، وجمعت ما استطعت جمعه، فوفقت الى جمع معظم شعره من ثلاثة عشر موضعا في العالم، ومازلت آمل أن احصل على الديوان بأجزائه العشرة، إذ أن الحاج خليفة، وهو من المتأخرين (ت ١٠٦١ هـ) ذكر في كتبه (كشف المظنون): انه رأي ديوان ابن الحجاج بمجلداته العشرة في مكتبات اسطنبول، وقد بذلت جهدي في البحث عن شعر هذا الشاعر، وكتبت الى سائر الآفاق، قد لقيت من الجهات التي راجعتها عناية تامة ورعاية مشكورة، إلا من القائمين على المكتبات في مصر العربية، فقد لاقيت صعوبات وعدم اهتمام، وكان

أعظمهم إهمالا الأستاذ محمود الجالي، أمين المخطوطات العربية في القاهرة، فقد كتبت اليه مرارا وتكرارا – بالبريد المضمون – اطلب اليه اعلامي ما لديه من شعر ابن الحجاج، وبالشروط والتراتيب الذي يرسمه، فلم يرد علي بشيء، وكنت في كل مرة أقول له: إن الله فرض على العلماء أن ينشروا على الناس ما يعلمون، كما فرض على خزان العلم أن يكشفوا عما لديهم لمن أراد من طلاب المعرفة، إلا أن السيد لم يعر محاولاتي أي اهتمام ولم يكلف نفسه حتى بالرد والإجابة!.

×××

× طبعت لكم موسوعة بثلاثة أجزاء عن "الكتابات العامية البغدادية" في أوائل الثمانينيات في بيروت، إلا أن شيئاً منها لم يصل إلى العراق، فما السبب؟

– طبعنا من هذه الموسوعة الف مجموعة فقط، بيعت في لندن، ونفذت أعدادها، وأرجو أن أوافق لإعادة طبعها والإضافة إليها، إذا تيسر في ذلك!!.

×××

× ماذا عن كتابكم (المائدة في الإسلام)؟.. وهل تم طبع موسوعة (العذاب).

– كتاب "المائدة في الإسلام"، ومؤلفات لي أخرى عددها عشرة في ثلاثة عشر مجلدا ، أحرقت وهي مسودات لحرقها غزاة بحمدون، وبعضها قد صفت حروفه، واعد للطبع فأضاع من احرقها على جهد العمر، وحرم المكتبة العربية من مؤلفات طريفة جدا، ومنها ما لم يسبقني إليه احد!..

× ما هي هذه الكتب؟

١– الرواتب في الإسلام (مجلد واحد).
٢– المائدة في الإسلام (مجلد واحد).
٣– الأثمان في الإسلام (مجلد واحد).
٤– الصداق في الإسلام (مجلد واحد).
٥– تطور الطب والجراحة في الإسلام (مجلد واحد).
٦– الألقاب (مجلد واحد).
٧– الخبر بن صاحب الخبر وصاحب البريد (مجلد واحد).
٨– طرائف – ثلاثة مجلدات ما عاينت ما سمعت ، ما قرأت.
٩– آخر ما قالوا (مجلد واحد).
١٠– كيف ماتوا؟ (مجلد واحد).

وفي موسوعة (الكنايات العامية البغدادية) مقتطفات من هذه المؤلفات الضائعة، من قراها ادرك مقدار الخسارة التي اصيب بها القارئ العربي من وراء احرقها!.

×××

× ورد في الجزء الثاني من (معجم المؤلفين العراقيين) للأستاذ كوركيس عواد (ص/ ٣٧٠) إنكم قمتم بترجمة كتاب (أحوال بغداد في القرن التاسع عشر)، ونشرتموه سنة ١٩٦٠ فلمن هو؟ وما مضمونه؟

– لم أقم بنشر كتاب بهذا الاسم، وانم ترجمت كتابا لمؤلف امريكي اسمه (بيري فوك) قام برحلته الى العراق وكتب في رحلته كتابا بالانكليزية سماه "غربستان او بلاد الف ليلة وليلة" وهو كتاب طريف جدا وصف فيه رحلته الى العراق في السنة ١٨٧٢ حيث زار الوالي محمد رديف باشا، الذي خلف الوالي مدحت باشا رحمه الله.

ومن طريق ما في هذا الكتاب انه نشر عدة صور (فوتوغرافية) لما شاهد في بغداد، منها ايوان كسرى، وواجهة جامع مرجان قبل فتح (خليل باشا جادة سي) ، وصورة للوالي رديف باشا بطربوشه ولحيته ومعطفه الذي يصل الى الركبة!.

وقد اقتطفت فقرات من هذه الرحلة في موسوعة الكنايات العلمية البغدادية كما سبق ان نشرت شيئا منها في مجلة (سومر)، وكنت قد تنازلت عن حقوق نشر هذه الترجمة الى مؤسسة فرانكلين.

×××

× كانت لكم في بدايات نشاطكم الادبي ، ترجمات لبعض الرسائل التي كتبها السياح عن بغداد خاصة، وع العراق عامة ، في العهد العثماني فهل في نيتكم جمعها وإعدادها للنشر باعتبارها من المصادر المهمة لحالتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية تلك العهود المظلمة!.

– كنت ايام عملي في المحاماة يتسنى لي أن أقوم بأي عمل ثقافي من تأليف أو تحقيق أو ترجمة، وصدرا من الليل في لقاء الاخوان ، رعاية الأولاد، وكنت اقرأ ما ارغب بقراءته ما بين منتصف الليل والثانية صباحا، ولكن توار فرض عدا التجول في ايام عبد الكري قاسم أتاح لي الفرصة لكي أترجم بعض من أعجبني من الرحلات منها رحلة (لوفنتس) الانكليزي في السنة ١٨٤٩ وكان رئيسا للهيأة الجيولوجية البعثة الانكليزية التي اشتركت تحديد الحدود بين العراق (الدولة العثمانية) وايران، تطبيقا لبنود معاهدة ارضروم وقد استعرت الكتاب من مكتبة المتحف العراقي وعنوانه (رحلة الى اور وسوسيانه وهو من نفائس الكتب وقد ترجمت منه ثمانية فصول، وحين رفع منع التجوال ، انقطعت عن ترجمة بقية الفصول، واقتطعت فقرات منه الى كتابنا (موسوعة الكتابات العامية البغدادية).

هوامش

الخطاب الأخير للسعدون.. ثم الانتحار

قضية (المكاتيب السرية) أمام المحاكم.. والملك فيصل الأول يتدخل، ويأمر بغلقها؟!

× ذكر الأستاذ الشالجي في هذا اللقاء، انه كان ممن شارك بضبط الخطاب التاريخية الأخير للمرحوم عبد المحسن السعدون، رئيس الوزراء، في مجلس النواب الذي انتهى بانتحاره فيما بعد.

× هذا الموضوع، ذكره الأستاذ المؤرخ عبد الرزاق الحسن في كتابه الكبير (تاريخ الوزارات العراقية) ج/ ٢ كما يأتي:

في جلسة مجلس النواب (١١ ت ٢ ١٩٢٩) اعلن رئيس المجلس ان المادة الاولى من منهاج الجلسة ستكرس لمناقشة تقرير لجنة العريضة الجوابية على خطاب العرش، فاندفع بعض نواب المعارضة الى التنديد بسياسة حكومة السعدون (الرابعة/ ايلول – ت ٢ ١٩٢٩) واتهامه بالتراجم عن مطالب الشعب!.

فألقى رئيس الزراء (السعدون) خطابا أورد فيه هذه العبارة : "إن نيل الاستقلال، تابع إلى جرأة الأمة، فالأمة التي تريد الاستقلال يجب ان تتهيأ له، ولايكون ذلك بالكلام والاقوال الفارغة، فالاستقلال يؤخذ بالقوة والتضحية"؟ وق سعى المتصيدون في الماء العكر، بالوشاية ضده لدى دار الاعتماد البريطانية، وإذا بوكيل المندوب السامي (الميجريانك) يزوره غداة تصريحه ويعاتبه بعنف وخشونة، ولما كان السعدون سليل اسرة عربية نبيلة، وزعيم قبيلة عريقة، فانه اثر الموت على الحياة، ففي مساء ١٣ ت ٢ ١٩٢٩ اطلق على نفسه عدة أطلاقات نارية أردته قتيلا في الحال، بعد أن كتب وصيته الى ابنه (علي).

×××

× والقضية الثانية التي اشار اليها الشالجي في هذا اللقاء هي قضية (المكاتيب السرية) وهي الرسائل البريدية التي اتهم بها المرحوم مزاحم الباجه جي وجماعته، بانه كان كاتب الضبط في المحكمة التي نظرت هذه القضية.

وقد اشار الى هذا المضوع المرحوم ناجي شوكت في مذكراته (سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ – ١٩٧٤) في الصفحات من ٢٠٦/٢٠٩، وخلاصتها: ان السيد مزاحم الباجه جي وزير الداخلية في وزارة نوري السعيد الأولى (اذار ١٩٣٠ – ت ١ ١٩٣١) فرض الرقابة على المراسلات البريدية والهاتفية، وطارد خصومه مطارده لا هوادة فيها خلافا للدستور واكتشف المسؤولون إن سرية (مكاتيب) وجهت الى بعض الشخصيات السياسية، فيها الكثير من التجني والتعريض، فانهم بهذا العمل السيد الباجه جي وعدد من جماعته الى المحاكم، وهؤلاء هم: شفيق ورفيق وجميل نوري السعيدي، واحمد وفاضل قاسم راجي، وابراهيم محمد الجراح، وعبد الرزاق السامرائي، وعبد الله البراك.

ومسؤولية وزير الداخلية (الباجه جي) في هذه القضية هي انه لم يتخذ اي اجراء لمنع توزيع هذه الرسائل، بل عمل العكس فعندما اراد الرقيب إيقافها ، منعه الوزير مع علمه بمضمونها.

وتتصل هذه القضية بأقدام الوزير على عزل المرحوم محمود صبحي الدفتري من منصب أمانة العاصمة، وإيراده في كتاب العزل عبارات غير لائقة وغير مألوفة في الأساليب الرسمية، حتى ان نوري السعيد رئيس الوزراء امتعض منها: وطلب سحب أمر العزل واعتبر الدفتري مستقيلا من الوظيفة.

وبعد مرافعات طويلة وأحكام مختلفة، تدخل الملك فيصل الأول وأمر بغلق القضية.

×××

× ونفى الدكتور عدنان الباجه جي في المذكرات التي أعدها ونشرها مؤخرا عن والده تحت عنوان (مزاحم الباجه جي / سيرة سياسية) منشورات مركز الوثائق والدراسات التاريخية – لندن (بلا تاريخ) في الملحق الاول ص ٥٣٣ وما بعدها (الرد على بعض الادعاءات والفهم والانتقادات التي وجعت الى مزاحم) في النقطة الخامسة – قضية الرسائل السرية نفي هذه القضية – برغم شواهدها العديدة، واعتبرها من التلفيقات ! وهكذا يسير البعض في كتابة التاريخ.

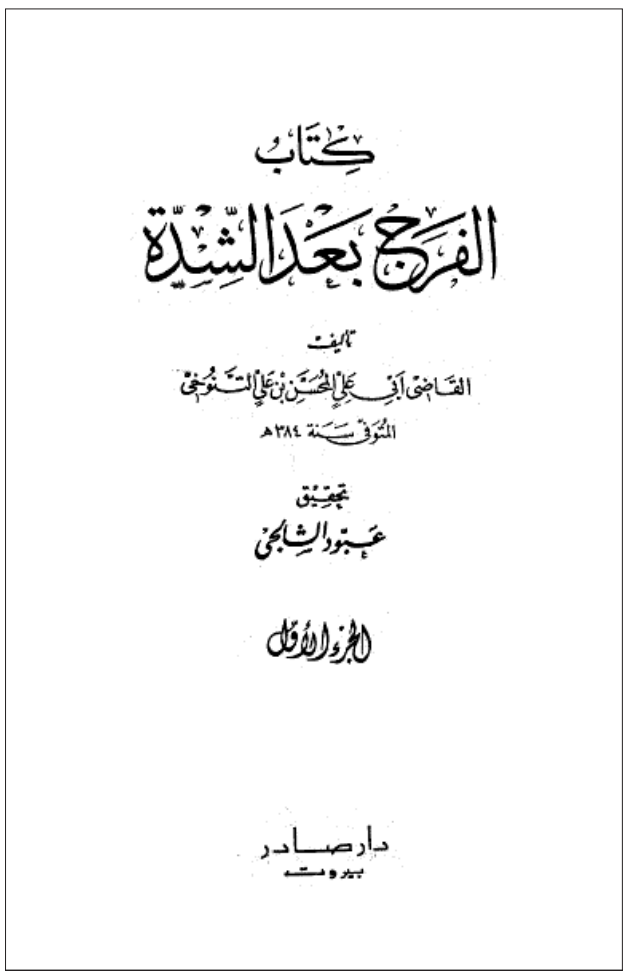

القاضي التنوخي (٣٢٧ – ٣٨٤ هـ)

× المحسن بن علي، داود التنوخي البصري، قاض، ومن العلماء والأدباء الشعراء، ولد ونشأ في البصرة وولي القضاء في جزيرة ابن عمر، وعسكر مكرم، وتقلد مناصب وأعمالا، وسكن بغداد وفيها توفي.

من كتبه العديدة: الفرج بعد الشدة، وجوامع التواريخ المسمى (نشار المحاضرة)، وديوان شعر.

مقدمات الكتب الرسالة البغدادية

× حقق الأستاذ عبود الشالجي هذه الرسالة النادرة وكتب مقدمتها في ٣ حزيران ١٩٧٨ وأجاب عن سؤال لنا حولها ضمن لقاء هذا الأسبوع وهذا تلخيص شديد للمقدمة: "الرسالة البغدادية، قصر صاحبها البغدادي، الحديث عن بغداد، فهي تكشف عن اخلاق البغداديين على تباين طبقاتهم، وامتدح طيب هوائها، وأثنى على تأنق أهلها في لباسهم ومساكنهم وعطورهم موائدهم، وفي مجالسهم ومواطن السرور فيها، وتحدث عن دجلة المشحونة بالمراكب والزوارق، المحفوفة بالقصور والجواسق، ترتفع بين اصوات الاغاني وخفقات النايات ، ومناداة الملاحين واصوات المؤذنين، ترى جمالا وكمالا، وتسمع من الحانها الشجية سحرا حلالا.

واول من تنبه الى هذه الرسالة، المستشرق الالماني (ادم ميتز) فحققها واخرجها للناس في السنة ١٩٠٢ في مطبعة من مطابع (هيدلبرج) وبالرغم مما وجده في المخطوطة من تصحيف، فقد استطاع بعد جهد ان يصلح كثيرا من اخطائها، وكتب للرسالة (مقدمة) دلت على وافر فضله، وخرجت الرسالة تحمل اسما رمزيا لصاحبها، ولكن دلت الدلائل على ان صاحبها هو ابو

أبو حيان التوحيدي!.

إن خير من كتب عن أبي حيان الدكتور عبد الرزاق محيي الدين فلم يترك مقالا لقائل واطلع على (البصائر والذخائر) ، وعلى (الإمتاع والمؤانسة)، كما ان ياقوت ذكرها في معجمه.

ويفرض علي الواجب أن انوه شاكرا بالجهد الذي بذله الدكتور إحسان عباس، العالم المحقق، في سبيل إخراج هذه الرسالة. فقد استحضر لي النسخة الأصل التي بنى عليها (ميتز) تحقيقه، وراجع عليها المسودة التي حررتها ، واثبت فيها تصحيحاته، وأصلح كثيرا من الكلمات المصحفة في الأصل.

عن صحيفة الاتحاد ١٩٨٨

عبود الشالجي من أعلام القضاء والأدب في العراق

خلف خلف داخل

القاضي والمحقق والاديب المعروف عبود الشالجي علم من اعلام العراق في القضاء والقانون فهو قانوني بارع ومؤلف متمكن ومحقق قدير واديب عبقري اخذ بنصيب من العلم واخر من الادب فألف المؤلفات وحقق كتب التراث له بحوث وتحقيقات تاريخية ودراسات ادبية احب بغداد فاحيا كناياتها وامثالها ورؤى حوادثها واخبارها..خالط الشعراء والادباء وتردد على العلماء وشاركهم في المجالس والمحافل فكان له مجلس علمي وادبي يبحث فيه مسائل العلم والادب ومشاكل القضاء والتشريع وتاريخ العرب.

ولد القاضي عبود مهدي الشالجي في بغداد سنة ٩٠٩ ويتصل نسب اسرته بقبيلة ربيعة واسرته من الاسر البغدادية المعروفة بالتجارة مابين العراق والحجاز وكانوا معروفين بالصدق والامانة في معاملات البيع والشراء حتى وضع الناس ثقتهم فيهم واعتمدوا عليهم في معاملاتهم الخاصة والعامة وجاءهم لقب الشالجي من نهر بهذا الاسم يقع في شمال مدينة سامراء وعلى اثر جفاف النهر تركوا موطنهم فجاءوا مدينة بغداد واستوطنوا مابين الكاظمية حتى جامع براثا وانتشروا بالمنطقة المحيطة بالجامع حتى سميت تلك المنطقة باسمهم فسميت منطقة الشالجية.

اكمل عبود الشالجي دراسته الابتدائية ببغداد ثم انتقل الى المدرسة الثانوية المركزية ببغداد فاكمل الثانوية سنة ٩٣٠ وخلال تلك الفترة عمل موظفا في مجلس النواب ثم انتقل ليعمل كاتبا عام ٩٣٢ في محكمة الجزاء الكبرى حتى تخرجه من كلية الحقوق سنة ٩٣٣ وهو المحامي الوحيد في تاريخ القضاء العراقي أن يعين قاضيا بعد تخرجه من الحقوق فعين قاضيا في منطقة الشامية ثم منطقة ابي صخير سنة ٩٣٥ ثم نقل الى ناحية قلعة سكر بالناصرية ثم اعيد الى النجف ثم نقل الى الموصل ثم عمل قاضيا في ناحية مندلي سنة ٩٣٦ بعد اربعة سنوات من القضاء تركه لينتقل لوزارة الاقتصاد سنة ٩٤٠ ليعمل سكرتيرا للوزارة لكنه مابرح ان ترك وزارة الاقتصاد ليعود الى وظيفته (المحاماة) من سنة ٩٤٢ حتى سنة ٩٦٩ وخلال هذه الفترة انصرف للكتابة والبحث والتحقيق حتى اصبح من الشخصيات المعروفة في العراق واخذ يتردد الى مجالس بغداد الادبية المنتشرة في ارجاء محافظة بغداد اضافة الى مجلسه الذي ورثه من ابائه والذي يتردد اليه كبار الشخصيات البغدادية ولانشغاله بعمله وتردده للمجالس الادبية واستقباله لرواد مجلسه لم يمنعه ذلك من المتابعة والتأليف فكان المحامي عبود الشالجي من اشهر المحققين لكتب التراث يذكر القاضي فتحي عبد الرضا الجواري بكتابه سدنة العدالة في العراق فيقول:يعتبر عبود الشالجي من الادباء الذين يعتد بهم في التثبت من المخطوطات ومن سدنة التراث المبدعين كما كان يشار اليه باعتباره احد المبرزين في بحوث الامثال والحكم والالفاظ والكنايات البغدادية واضافة لكل ذلك براعة في الحديث ودقة في المعلومات مع طرافة في عرض افكاره ومعلوماته يضفي على اي مجلس يحضره نكهة محببة من سمو النفس وكرم الخلق مما يشجع الحضور على الاستزادة من حلو حديثه الخلاب ولم يكن يبخل على سامعيه بما يرغبون سماعه منه من شعر وامثال وذكريات وكان قد جمع معلوماته الثرية تلك من زيارته لمناطق العراق المختلفة اثناء عمله في القضاء اقول:كان المحامي عبود الشالجي كثير التردد على المجالس الادبية وكثيرا ما يتردد على مجلس الحاج محمد جعفر ابو التمن رحمه الله فيقول: كنا انا والاستاذ حسين جميل المحامي فحضر المجلس في وقت متأخر لانشغال كل واحد منا في مكتبه وكان جعفر ابو التمن ذكيا لماحا دقيق الملاحظة وان موعد مجلسه الاسبوعي في داره كان يوم الاربعاء وكان عظيم الرعاية لزائريه شديد الحفاوة بهم لافرق عنده بين صغيرهم وكبيرهم وكان يحرص على ان يودع كل زائر من زواره حتى الباب..يذكر المحامي عبود الشالجي فيقول زرته في اخر اربعاء جلس فيه لزواره وكان الوقت باردا وجلس الى جانبي قال انا مريض وقد مرضت عدة مرات من قبل ولكني لم اشعر بان قواي قد انهكت وان بدني قد تحطم الا في هذه المرة فقلت له يشفيك الله يا حاج ولما تجاوز الوقت العاشرة وهو موعد نومه وخرجنا وكان ذلك اخر عهدنا به فتوفي بعد يومين وعاد المحامي عبود الشالجي الى وظيفة المحاماة بعد تركه الوظيفة الحكومية فيقول :استشرت الشيخ علي الشرقي الشاعر والوزير في امر عودتي الى الوظيفة او المباشرة بالعمل الحر في المحاماة فرجح لي المحاماة وقبلت رأيه ووفقت في ذلك كما استشرته في امر زواجي فاشار علي باختيار الجهة التي نسب لي اختيارها فاتبعت اشارته وسعدت ومن الاحداث التي تذكر ان الشيخ علي الشرقي أعلمَ عبود الشالجي بثورة ٤/تموز/ ٩٥٨ فيقول زرت الشيخ علي الشرقي يوم /تموز/ ٩٥٨ قبل الثورة بثلاثة ايام واخذنا الحديث الى ما اذيع عن اكتشاف مؤامرة في الاردن لقلب نظام الحكم فقال علي الشرقي لا اجد غرابة في مثل هذه الانتفاضات في كثير من البلدان العربية فان الرأي العام في غليان وكلما امتد الزمن بعدت الشقة بين الحكام والرعية وانا لا استبعد ان يقع انفجار هنا في العراق في وقت قريب وفعلا وقع الانفجار بعد ثلاثة ايام من قول علي الشرقي ولما وقعت ثورة ٤/تموز/ ٩٥٨ لم يتعرض احد للشيخ الشرقي بالرغم من عمله في اخر وزارة من وزارات العهد الملكي إذ بقي في داره مصون الجانب محفوظ الكرامة غير انه انقطع عن زيارته الكثير من كان يزورهم. يقول عبود الشالجي سألته عن سبب انقطاع مريدي مجلسه عن الزيارة اجاب ارحب بمن زارني ولا اعتب على من جفاني بعد ثورة تموز/

٩٥٨ قام عبود الشالجي بزيارات خارج العراق فزار اسبانيا سنة ٩٦٠ وتمتع بمشاهدة مصارعة الثيران كما زار النمسا سنة ٩٦ والتقى بالسفير العراقي في فينا كما زار مصر مشتركا مع المحامين العراقيين لحضور مؤتمر المحامين العرب المنعقد في القاهرة سنة ٩٦٢ يقول الشالجي دعينا الى حفلة غناء تحييها ام كلثوم في قاعة الجامعة وحضرنا وكنا جمعا غفيرا وفينا من المصريين عدد كبير وحضرت ام كلثوم فاشتد التصفيق واطلت على المسرح ثم جلست على الكرسي واخرجت منديلها ومسحت فمها بالمنديل وباشرت ام كلثوم بالغناء فحدث في كثير من الناس من الهياج والصياح والصراخ مما دفعني والقول الى عبود الشالجي الى مبارحة المكان وترك الباقين في هياج وصياح وصراخ

مؤلفات المحامي عبود الشالجي:

اصدر الاستاذ عبود الشالجي كتبا فريدة في بابها توزعت على الاستقراء الادبي والتحقيق منها جمهرة الامثال البغدادية وموسوعة العذاب تقع في عشرة اجزاء وهو من الكتب المنتشرة تضمنت معلومات عن طغاة حكموا في عصور مختلفة ساموا الناس عسفا وعذابا ففي شرحه للمثل البغدادي (موت احمر) تحدث الشالجي عن انواع القتل الذي كان المتسلطون يمارسونه

اكمل عبود الشالجي دراسته الابتدائية ببغداد ثم انتقل الى المدرسة الثانوية المركزية ببغداد فاكمل الثانوية سنة ٩٣٠ وخلال تلك الفترة عمل موظفا في مجلس النواب ثم انتقل ليعمل كاتبا عام ٩٣٢ في محكمة الجزاء الكبرى حتى تخرجه من كلية الحقوق سنة ٩٣٣ وهو المحامي الوحيد في تاريخ القضاء العراقي أن يعين قاضيا بعد تخرجه من الحقوق فعين قاضيا في منطقة الشامية ثم منطقة ابي صخير سنة ٩٣٥ ثم نقل الى ناحية قلعة سكر بالناصرية ثم اعيد الى النجف ثم نقل الى الموصل ثم عمل قاضيا في ناحية مندلي سنة ٩٣٦

رسالة موجهة الى الصديق عبود الشالجي

عبد الرزاق الظاهر

لقد اوشكت على الانتهاء من اكمال رسائل ضمنتها بعض مراحل حياتي الخاصة وصلاتي بالحياة العامة. وكنت كثير التردد الا ان رغبة ملحة من كثير من الاخوان حملتني على الاستجابة لتحقيق هذه الرغبة، وفي حياة كل فرد تجارب وحوادث في تسجيلها عبرة ومتعة للقارئ وربما تكون هديا ونبراسا ينتفع بتلك التجارب من يطلع عليها. والواقع انه كما يقال ليس كل ما يعرف يقال ولكن القليل الذي يجوز ذكره لا يخلو من الفائدة للقارئ.

وتجربتي في الحياة امتدت خلال عهود شهدها المسرح العراقي منذ اواخر عهد الدولة العثمانية الى عهد الاحتلال، ثم الى عهد تكون الحكم الوطني في العراق، وما تخلل ذلك من احداث محلية وعالمية كما هو معلوم. ولقد حاولت جهد المستطاع ان اصور بعض تلك الاحداث على قدر علمي بها، ومن قريب او بعيد وكما تعلم فان صلاتي الشخصية بالاشخاص من اصدقاء واقارب كانت الى حد بعيد تتركز على المجتمع الخاص الاذي كنا نعيش فيه خصوصا في مجمع الحديقة، الذي كان يقصدها مختلف الاخوان والاصدقاء ليل نهار وبلا تكلف وبممنتهى الحرية والانطلاق. وكما تعلم فان الاشخاص الذين كانوا يترددون ويؤلفون ذلك المجمع هم فيالحقيقة يمثلون مختلف اوساط المجتمع العراقي انذاك ففيهم الفقيه المعمم المتنور من امثال الشيخ علي الشرقي والسياسي الاصيل البارع من امثال سعد صالح والمحامي النابه الذي يتدفق حماسة وذكاء من امثال داود السعدي والطبيب اللامع من امثال الدكتور توفيق رشدي والمثقف المتحمس المتوثب من امثال علي محمود الشيخ علي والشاب الثائر من امثال يونس السبعاوي والشخصية التواقة للحياة والمرح من امثال يوسف المولى او السيد محسن الرفيعي. هؤلاء وعشرات غيرهم حاولت ان اصور بعض نواحي حياتهم كما اتذكرهم. اما انت وانا الداعي فقد كان دورنا اقرب ما يكون الى الاشراف وادامة وجود هذه الندوة الطريفة الفريدة التي مثلت الحياة البغدادية خلال حوالي ربع قرن او اكثر ولا احسب ان لها مثيل من حيث التنوع والاهمية لما فيها من حيوية وانطلاق اخواني بين مختلف الاذواق والشخصيات العراقية.

ولا ينبغي لي ان انسى ذكر شخصية لامعة متعددة الجوانب من حيث الابداع هي شخصية السيد قاسم العلوي فقد كان اديبا وكاتبا ومتخصصا فيالعلوم الرياضية والحساب كما كان محدثا رائعا ولو انه وجد في غير المحيط العراقي انذاك لكانت مواهبه مدعاة للتقدير والتسجيل، ولكن ظروف العراق آنذاك كانت تضيق بالنابهين خصوصا من كان من خصوم النظام القائم. وكما تعلم فهو اول مثقف وكانت سجن لارائه السياسية مع الشاعر والثائر الشيخ مهدي البصير في اوائل عهد الاحتلال بسبب نشاطه من اجلالاستقلال. واعتقد انك بذاكرتك القوية تستطيع سداد الفجوات التي قد تكون قد وردت من خلال تسجيلي لتلك الاحداث المتعاقبة معتمدا على ذاكرتي الضعيفة،محاولا جهد الامكان انصاف اولئك الاشخاص الذين لم يتبق منهم الا الذكريات. فكأنهم وقد عبروا طريق الحياة صعودا ونزولا كالقافلة التي اعناها السير فاقامت امدا قصيرا ثم استراحت واستمرت الى نهاية الطريق.

عن الحوار المتمدن

بحق معارضيهم وذلك بكتم النفس ويشتمل على القتل خنقا والقتل شنقا والقتل غما وكذلك القتل بدفنه حيا او البناء عليه او هدم البناء على المعذب كل هذه التفاصيل في كتابه موسوعة العذاب كذلك عذاب النساء يقول المحامي الشالجي: جاء الاسلام برعاية خاصة للمرأة اذ منع من التعرض لها بأي لون من الوان العذاب والاذى وكنى النبي صلى الله عليه واله وسلم عن النساء فقال (رفقا بالقوارير)ومن اقوله صلى الله عليه واله وسلم (خيركم خيركم للنساء استوصوا بالنساء خيرا ما اكرم النساء الا كريم وما اهانهن الا لئيم) ثم يذكر اول من عذب النساء في الاسلام كما ذكر في موسوعة العذاب الباب التاسع عشر (المرأة) ويشتمل على خمسة عشر فصلا منها اول من عذب النساء في الاسلام.

-قتل المرأة بالسيف وقتل المرأة خنقا وقتل المرأة شنقا.

اما في مجال التحقيق فقد اصدر كتاب الفرج بعد الشدة في خمسة اجزاء ونشوار المحاضرة واخبار المذاكرة في ثمانية اجزاء وقد ترجم لعدد كبير من مشاهير العلماء والقادة ففي كتاب الفرج بعد الشدة ترجم اكثر من ٢٠٠ من الرجال وكذلك كتابه نشوار المحاضرة وهذان الكتابان من الكتب المنتشرة في مكاتب العراق واشهر كتاب له هو موسوعة الكنايات العامية البغدادية في ثلاثة اجزاء ألفه في لبنان بمنطقة بحمدون سنة ٩٨٢ جمع فيه جميع الامثال والكنايات البغدادية والعراقية مع الشرح ولعله كتاب يضم بين دفتيه التاريخ والترجمة وجغرافية البلدان ويذكر الاستاذ القاضي فتحي عبد الرضا الجواري بكتابه (سدنة العدالة اعلام القضاء في العراق) فيقول:طبعت هذه الكتب اكثر من مرة ونالت التقدير العالي من الهيئات العلمية والاكاديمية العربية والاجنبية والنقاد لما اتسمت به من براعة ادبية رفيعة المستوى في دقة البحث وحسن الصياغة والسبك واشراق البيان اضافة لما كان يتطلبه جهده الكبير هذا من صبر وجلد وأناة اثناء التجوال الشاق في مراجعة النصوص والبحث في الاصول والفروع..اقول:استمر في اتمام كتابه او موسوعته في الكنايات العامية البغدادية من سنة ٩٧٦ حتى سنة ٩٨٢ بعد ان غادر العراق سنة ٩٦٩ واقام في لبنان ثمانية عشر سنة ثم غادر الى لندن وعاد الى بغداد بعد سنوات ثم عودته ثانية الى لندن للاستشفاء سنة ٩٩٢ وتوفي هناك في ٤/نيسان/ ٩٩٦ ونقل جثمانه ليدفن في النجف الاشرف بعد ان امضى حياة حافلة بالقضاء والمحاماة رحمه الله رحمة واسعة.

المصادر:

-البغداديون -اخبارهم ومجالسهم
-ابراهيم الدروبي.
-اعلام الادب في العراق الحديث. مير بصري.
-سدنة العدالة اعلام القضاء في العراق القضاي فتحي عبد الرضا الجواري.
-مجالس الادب في بغداد حاتم حسين الكرخي.

من موسوعة العذاب لعبود الشالجي

التعذيب في العصر الاسلامي

اعداد / عراقيون

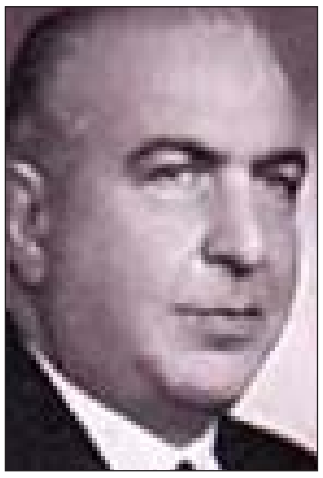

كتاب موسوعة " موسوعة العذاب" للمحامي ألمعروف الأستاذ الراحل عبود ألشالجي، وألصادر عن ألدار ألعربية للموسوعات، بيروت ١٩٩٩، يعتبر من اهم الكتب الذي رصد موضوع التعذيب في العصر الاسلامي. وللتعرف على طبيعة هذه المجلدات وقيمتها والمواضيع التي تعرضت لها، نستعرض هنا بعض محتويات المجلد الاول من هذه ألموسوعة القيمة، فمثلا جاء في فهرس ألكتاب الأول من عناوين في ألصفحة ٥٤٩ منه:

ألباب ألاول: ألشتيمة
ألفصل ألاول: ألشتيمة مع ذكر أالله تعالى. وألشتائم على ألنفي(أي ألمسبوقة بلا). وشتائم مختلفة
ألفصل ألثاني: شتائم غير موجعة
ألفصل ألثالث: ألمعايرة.....
ألقسم ألاول: ألمعايرة بالعاهة
ألقسم ألثاني: ألمعايرة بالصناعة
ألقسم ألثالث: ألمعايرة بالنحلة
ألقسم ألرابع: ألمعايرة بالنسب
ألقسم ألخامس: ألمعايرة بالابوين
ألقسم ألسادس: ألمعايرة بالصفات ألسيئة
أ – ألمعايرة بالصفات ألخلقية
ب- ألمعايرة بالصفات ألعارضة
ألفصل ألرابع: ألفاظ مختلفة في ألشتم...
ألقسم ألاول: تسمية ألمشتوم باسم حيوان
ألقسم ألثاني: مجموعة ألفاظ في ألشتيمة
ألفصل ألخامس: ألرفث في ألشتيمة ...
ألفصل ألسادس: طرائف في ألشتم
ألباب ألثاني: ما يشبه ألشتيمة...
ألفصل ألاول: ألعفطة...
ألفصل ألثاني: ألشتم بالاشارة أو ألتعريض...
ألفصل ألثالث: ألثفل...
ألفصل ألرابع: عرك ألاذن...
ألفصل ألخامس: ألسحب...
ألفصل ألسادس: ألحصب...
ألفصل ألسابع: ألحذف بما في أليد...
ألفصل ألثامن: ألالجام...
ألفصل ألتاسع: ألعذاب بالتغطيس في مستودعات ألقذر.

التعذيب إشتقاق حديث تقابله ثلاثة إصطلاحات قديمة : العذاب والبسط والمُثلة . وقد استعمل الأولان في العصور الإسلامية بمعنى واحد يشير إلى إيلام الأسير أو المتهم على سبيل الإنتقام أو الحصول منه على الإعتراف بشيء ما . ومعنى البسط هنا بحسب الباحث العراقي الراحل" هادي العلوي " يتعدى عبارة (عليه) وهو بهذا المعنى مستعمل في دارجة بغداد ولكن متعدياً بنفسه فيقال : بسطه / بمعنى ضربه ، والمبسوط هو المضروب ، خلافاً للمراد منه في بعض اللهجات العربية الأخرى حيث يعني المبسوط المستريح والمسرور ، وهو إشتقاق من معنى الإنبساط يعني الإنشراح ، أما المثلة فهي تشويه الشخص حياً أو ميتاً .ويقول الباحث " عبود الشالجي": العذاب شعبة من شعب الظلم ، والظلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه ، وفي الإصطلاح: إيذاء الناس وانتقاص حقوقهم وهو خلاف التقوى التي هي مخافة الله ، والعمل بطاعته . ويضيف الباحث : الضرب أقدم ألوان العذاب التي مارسها الإنسان ، ويتعذر على المؤرخ إحصاء ما ورد عن هذا اللون من العذاب ، وكان الضرب يمارس من أجل الإهانة والإيلام ، كما كان يمارس من أجل القتل ، وكان يمارس عذاباً أصلياً ، كما كان يمارس عقاباً إضافياً ، يقرن إلى الحبس ، أو قطع الأطراف ، أو غير ذلك من ألوان العذاب .

في وصف السجون(موسوعة العذاب لمؤلفها " عبود الشالجي " المجلد الثاني/ الدار العربية للموسوعات / بيروت)

كان للحجاج بن يوسف الثقفي، سجنان ، احدهما واسع الرقعة ، ليس فيه سترٌ يستر الناس من الشمي في الصيف ، ولا من المطر والبرد في الشتاء ، وربما كان المسجون يستتر بيده من الشمس ، فيرميه الحرس بالحجارة ، وكان أثر المحبوسين فيه مقرّنين بالسلاسل ، وكانوا يسقون الزعاف ، ويطعمون الشعر المخلوط بالرماد ، وخلّف الحجاج فيه ، لما هلك ، ثمانون ألفاً ، حبسوا بغي جرم ، منهم خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف إمرأة ، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد (مروج الذهب ١٢٨/٢ والعيون والحدائق ١٠/٣ ومحاضرات الأدباء ١٩٥/٣).

وكان للحجاج سجن ثان يسمّى الديماس ، والديماس الحفيرة في باطن الأرض ، وكان الديماس من الضيق ، بيحث لايجد المسجون فيه إلاّ موضع مجلسه ، وكان كلّ جماعة من المسجونين يقرنون في سلسلة واحدة ، فإذا قاموا ، قاموا معاً ، وإذا قعدوا ، قعدوا معاً (الفرج بعد الشدة ، لغبن أبي الدنيا مخطوط ١١) ، ولا يجد المسجون المقيّد منهم إلاّ موضوع مجلسه ، فيه يأكلون ، وفيه يتغوطون ، وفيه يصلون وقد وصف إبراهيم بن يزيد التيمّي ، الرجل الزاهد ، هذا الديماس لما حبسه الحجّاج ، وأثبت ذلك القاضي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدّة ، تحقيق المؤلف ، في القصة ٧٨ و٨٨ ، ومما يجدر ذكره ، ان هذا الرجل الزاهد ، كانت خاتمة حياته في ديماس الحجّاج هذا ، فإن الحجّاج منع عنه الطعام ، وأرسل عليه الكلاب تنهشه حتى مات (اللباب ١٩٠/١) ولما مات رمي بجثته في الخندق ولم يجرأ أحد أن يدفنه حتى مزّقته الكلاب (البصائر والذخائر م ٣ ق١ ص ٣٠٤)

الحبس في المطبق (موسوعة العذاب لمؤلفها " عبود الشالجي " المجلد الثاني/الدار العربية للموسوعات / بيروت)

المطبق : السجن تحت الأرض ، سمي بذلك لأنه يطبق على المسجون ، فيحول بينه وبين رؤية النور ، ويتركه في ظلام دامس ، وعزلة موحشة ، ويعد – على الأكثر – للمساجين السياسيين ، ويكون شديد الظلمة ، سيّء التهوية ، ومن مكث فيه زماناً انطفأ بصره .

الحبس في السراديب(موسوعة العذاب لمؤلفها " عبود الشالجي " المجلد الثاني/ الدار العربية للموسوعات/ بيروت)

السرداب : فارسية ، معناها : الماء البارد (شفاء الغليل ١٠٥) وهو حجرة في باطن الأرض ، تتخذ تحت مستوى أرض الدار ، وقد اتخذ السرداب في الأصل ، ليستكّن فيه من يريد الإحتماء من وقدة الشمس أبان القيظ ، فإن كانت الحجرة للعقوبة ، تركت من دون كوة ، ولا نافذة ، ولا منفذ لها إلا الباب ، فسائت تهويتها ، وشعات الظلمة فيها ، وأصبحت مماثلة للمطبق من جميع الجهات .

أمّا إذا أريد بها التنعم في الصيف ، فيتخذ للسرداب ، كوى لجلب الضوء ، ومنافذ لجرّ الهواء تسمّى : البادكير أو البادهنج ، راجع وصف ذلك في حاشية القصة ١٨٠ من كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف .

حبس المنصور ، عبدالله بن الحسن ، وأقاربه من بني الحسن ، في سرداب تحت الأرض ، لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً، والسرداب عند قنطرة الكوفة ، ولم يكن عندهم بئر للماء ، ولا سقاية ، فكانوا يبولون ويتغوّطون في موضعهم ، وغذا مات منهم ميت ، لم يدفن ، بل يبلى وهو ينظرون إليه ، فأشتدّت عليهم رائحة البول والغائط ، فكان الورم يبدو على أقدامهم ، ثم يترقّى إلى قلوبهم ، فيموتون ، ويقال : ان أبا جعفر ، ردم عليهم السرداب فماتوا وكان يسمع أنينهم أياماً (النجوم الزاهرة ٤/٢)

التشميس (فصول من تاريخ الإسلام السياسي / هادي العلوي / الطبعة الأولى مركز الأبحاث والدراسات الإشتراكية في العالم العربي ١٩٩٩)

في بداية الدعوة الإسلامية بمكة وجد تجار قريش حاجة لإرهاب عبيدهم ومواليهم الذين أسلموا فعذبوهم ليرجعوا عن الإسلام . وكانت وسيلتهم في ذلك هي التشميس الذي يعتمد على شمس الجزيرة الحارقة . فكانوا يكتفون الضحية ويلقونه في الشمس بعد إلباسه أدراع الحديد أو وضع جندلة على ظهره أو صدره ويترك على هذا الحال ساعات غير محدودة قد تستمر مادامت الشمس النهار في عنفوانها . وظهر التشمس أيضاً في صدر الإسلام لتعذيب الممتنعين عن دفع الخراج . ويتفاوت مفعول هذه الوسيلة تبعاً لشدة حرارة ، فهي في العراق والجزيرة أوجع للضحية ، وفي بلاد الشام أقل إيلاماً .

تنور الزيات :(فصول من تاريخ الإسلام السياسي / هادي العلوي / الطبعة الأولى مركز الأبحاث والدراسات الإشتراكية في العالم العربي ١٩٩٩)

ابتكر محمد بن عبدالملك الزيات الواثق لتعذيب عمال الخراج المختلسين وكان يصنع من خشب تخرج منه مسامير حادة وفي وسطه معترضة يجلس عليها المعذب . وقد عذب فيه صانعه بعد عزله زمن المتوكل بسبب إهانة كان قد وجهها إليه قبل أن يستخلف . ووصف الطبري (تاريخ الطبري ٤٨٨/٢، ٤٩٠، ٤٩١) تعذيبه على الوجه التالي :

(حبس أولاً . ثم سوهر (منع من النوم) فوكل به سجان ينخسه بمسلة كلما أراد أن يغفو . ثم ترك أياماً فنام وانتبه فاشتهى فاكهة وعنباً فقدمت إليه فأكل . ثم أعيد إلى المساهرة أياماً نقل بعدها إلى التنور حيث مكث أياماً كلما أراد أن يغفو سقط على مسمار فانتبه ، فكان يضطر إلى البقاء فوق الخشبة المعترضة ومقاومة النوم . وهي الفكرة التي تكمن وراء صنع التنور بهذا الشكل . أي أن المعذب يجد أمامه خيارين ، إما النوم على المسامير أو السهر طيلة إقامته في التنور).

عراقيون
من زمن التوهج

في النقد التراثي

عبود الشالجي "الفرج بعد الشدة"

د. إبراهيم السامرّائي
اديب وناقد راحل

مصنف الكتاب هو التنوخي أبو علي الحسن بن علي القاضي، المتوفى سنة ٣٨٤هـ صاحب "نشوار المحاضرة". وكتاب "الفرج بعد الشدة" نشر غير مرة نشرات لم تنل شيئاً من الضبط والعناية، شأنه شأن "النشوار".

غير أن الأستاذ عبود الشالجي المحامي قد اضطلع بنشر "النشوار" بادئ ذي بدء، ثم أعقبه بنشر "الفرج بعد الشدة". وليست بي حاجة إلى بيان فضل هذه النشرة المحققة، فقد أغناها الأستاذ الشالجي بفوائد قيمة، وأخرج الكتاب بهيأة حظيت بالإحسان التام والعناية الفائقة.

وكتاب "الفرج بعد الشدة" من كتب الأدب العامة لما فيها من أدب كثير؛ فقد اشتملت على طائفة من الشعر، ومثلها من عيون النثر، والمُلَح والنوادر. ثم إن الكتاب مما لا يستغني عنه المؤرخ لعلاقة الأخبار والقصص المذكورة بأحداث تاريخية معروفة مشهورة. وهذا الضرب من التصنيف كثير في المكتبة العربية التي تتصل بالتراث المشترك بين الأدب والتاريخ. ولعل هذا النمط غير بعيد مما عرفناه في كتابه (نشوار المحاضرة) من حيث الجمع بين فوائد عدة.

إن موضوع "الفرج بعد الشدة" معروف من اسمه، فهو عرض لأحداث وأخبار وقصص عرضت فيها الشدة والكرب لجماعة من الناس، ثم هيأ الله لهم فرجاً قريباً خَفّف عنهم الكرب فقرّت نفوسهم.

قلت: إن الأستاذ الشالجي المحقق قد أعان الدارسين فهيأ لهم كتباً فيها جهد كبير وفوائد سنية. ولكني وددت أن أقف على أشياء يسيرة فأقول فيها ما أقول:

الجزء الأول:

١- جاء في الصفحة ٦٨ قول المصنف:

"عَلِمَ أن البُشرى الأَوّلَة تمنع من ذبح إسحاق".

عَلّق الأستاذ المحقق على قول المصنف "الأَوّلَة" فقال:

"تعبير بغدادي بمعنى الأولى، أما التعبير البغدادي الآن فهو "الأولية أو الأولانية".

أقول: لقد وجدتُ الأستاذ المحقق يفزع كثيراً إلى وصف طائفة من المواد اللغوية بقوله: "تعبير بغدادي"؛ ولا أدري كيف استطاع أن يتوثق من عامية بغدادية في القرن الرابع الهجري، وأين لنا من المظان التي نعرف فيها هذه الشوارد العامية التي وصفت بـ "التعابير البغدادية"؟

أقول: كأن دليل الأستاذ ما ذكره من التعبير البغدادي المعاصر "الأولية أو الأولانية"؛ ولا أرى أن في ذلك ما يعين على معرفة لسان دارج قديم، فإن لم يكن هذا فما الحاجة إلى الإكثار من ألوان العامية البغدادية المعاصرة في هذا الكتاب؛ أيكون ذلك من باب الموازنة أم يكون للفائدة التاريخية؟

وقد وجدت أن كثيراً مما وصفه الأستاذ المحقق بقوله: "تعبير بغدادي" هو من الكلم العام الشائع الذي نجده في مصنفات شامية أو مصرية أو غيرها كما سنرى.

أقول: ليس من الصحيح أن نفزع إلى القول بالعامية قبل أن نتوثق مما في عربيتنا الفصيحة. جاء في ترجمة "وأل" في "لسان العرب":

وحكى ثعلب: هن الأَوّلات دخولاً والآخرات خروجاً؛ واحدتها الأَوّلة والآخرة. ثم قال: ليس هذا أصل الباب، وإنما أصل الباب الأول والأولى كالأطول والطولى.

وجاء في ترجمة "صَمَحْمَح" في "لسان العرب":

قال ابن جني: الحاء الأولى من "صَمَحْمَح" زائدة، وذلك أنها فاصلة بين العينين؛ والعينان متى اجتمعتا في كلمة واحدة مفصولاً بينهما، فلا يكون الحرف الفاصل بينهما إلا زائداً؛ نحو عَثَوْثَل وعَقَنْقَل وسُبالم وحَفَيْفَد. وقد ثبت أن العين الأولى هي الزائدة، فثبت أن الميم والحاء الأوليتين في "صَمَحْمَح" هما الزائدتان، والميم والحاء الأخيرتين هما الأصليتان؛ فاعرف ذلك.

أقول: وهذا يعني أن "الأَوّلَة" لغة فصيحة وليس تعبيراً بغدادياً.

٢- وجاء في الصفحة ٨٠ من قول المصنف ذكر "بختنصر" فعلق المحقق بقوله: بخت نَصّر أو نبوخذ نَصّر ٦٠٤-٥٦١ ق. م، ملك بابل، أغار على مصر، وفتح أورشليم ... ... (انظر المنجد).

أقول: ليس من الأصالة العلمية أن يُوَثّق العَلَم التاريخي، وهو مشهور في مظانه الموثقة، بكتاب "المنجد"!

٣- وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

"وجا بدانيال"، فعلق الأستاذ المحقق بقوله:

"جا" أصلها "جاء"، فحذفت الهمزة على طريقة البغداديين في حذف الهمزة في آخر الكلمة، قال الشاعر:

عَشِيَّةَ جا أهلُ العراق كأنهم سحابُ خريفٍ صفّقَتْه الجنائبُ

أقول: ألم يكن من الأجود والأولى أن تعاد الهمزة إلى الفعل "جا" فيكون "جاء"؛ وذلك لعلمنا الأكيد أن جمهرة النساخ في المخطوطات كلها تتخفف من رسم الهمزة في أواخر الكلمات. رأيناهم يكتبون "الأدبا" و"الألبّا" و"السما" و"الببغا" وكثيراً غير هذا بحذف الهمزة. ومن المعروف أن هذه من الأسماء الممدودة، ومَدّها أكثر من قصرها، وإن كان القصر جائزاً وواردا ولا سيما في الشعر، فأعيدت الهمزة إلى هذه الكلمات عند نشر الكتب.

ثم إن حذف الهمزة الأخيرة غير خاص بالبغداديين، فهو أمر شائع في بلاد العرب عامة، في العربية الفصيحة والألسن الدارجة قديماً وحديثاً؛ وكتب القراءات

وكتب الأدب خير شاهد على هذا.

ثم إن استشهاد الأستاذ المحقق بالبيت دليل ضعيف؛ ذلك أن الشاعر ممتحن بالوزن، وحذف الهمزة يفي بالوزن وإبقاؤها يُخِلّ به. ولا أدري كيف جاز للمحقق أن يَعُدّ قول "الشاعر" على طريقة البغداديين وهو مجهول؟ أليس من الجائز أن يكون أندلسيّاً أو مصريّاً أو شاميّاً؟

٣- وجاء في الصفحة ٨٣ قول الأستاذ المحقق في التعليق على كلمة "الفرث":

"الفرث السرجين ما دام في داخل الكرش".

أقول: توخى الأستاذ المحقق أن يكون عمله مفيداً غنياً بما يحتاج إليه القارئ وما قد يكون فيه غنى عنه. وما أظن أن هذه الفائدة تدخل في جملة إضافاته الممتعة.

٤- وجاء في الصفحة ٨٣ حاشية طويلة استهلكت صفحة وشيئاً من صفحة عن "أبي سفيان".

أقول: "الأصل في التعليق والحواشي أن تكون مما يفيد، كأن يكون التعريف برجل غير معروف لدى جمهرة القراء، أو أن اسمه من باب المشتبه، أو أنه عرض له تصحيف فأفسده؛ وفي هذه الأحوال يكون عمل المحقق من الأعمال الجليلة. أما أن يكون تعريفاً بعَلَم من المشاهير، كأبي سفيان، فليس هذا مما يفتقر إليه الدارس الطالب للفوائد. وإذا كان من تعريف لهذا المشهور، أقلا كان من الحق أن يُكتَفى بالقليل، مع ذكر المصادر الضرورية المتقدمة لا المتأخرة؟ ثم إن الأستاذ المحقق بعد هذه البسطة الطويلة عن "أبي سفيان" ترك المادة غفلاً من المصادر.

٥- وجاء في الصفحة ٨٥ حاشية للمحقق عن كلمة "المنافق" ذكر فيها علاقة الاسم بالنافقاء، وهي جحر اليربوع

... ...

ثم اعتمد في قوله هذا على "المنجد"؛ ألم يكن من المفيد أن يرجع إلى "لسان العرب" فيجد فيه "اليربوع" و"نافقاءه"، ثم يجد فيه معنى "المنافق" في القرآن والحديث، كما يجد فيه أنه من المصطلح الإسلامي؟ وفي مجموع هذا فوائد لغوية وتاريخية.

٦- وجاء في الصفحة ٩٢ في تعليق المحقق على "اليقطين" قوله:

اليقطين واحدته يقطينة وهو كل ما لا ساق له من النبات كالقثّاء ... ...

أقول: أليس من العلم أن يرجع إلى "المنجد" في مادة قديمة هي "اليقطين". ومن فوائد المحقق في هذه الكلمة إشارته إلى أن القرع المستطيل يسمى في بغداد الآن: "الشجر"، وفي لبنان نوعان هما الكوسة والقرع.

أقول: وفاته أن يشير إلى أن "اليقطين" بهذا اللفظ ما زال معروفاً لدى القرويين في جنوب العراق، ولا يعرفون غيره من الأسماء.

٧- وجاء في الصفحة ٩٣ قول المصنف:

"كهيأة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش".

فعلق المحقق بقوله:

الممعوط الذي سقط شعره؛ وعامة بغداد يكنون عمن أوغل في الشر والحيلة بقولهم: "ذيب أمعط".

أقول: لا أرى مناسبة كبيرة تستدعي أن يشار إلى قولة البغداديين، وإن كان غير البغداديين من العراقيين وغيرهم يعرف "الأمعط".

٨- وجاء في الصفحة ٩٨ قول المصنف:

ولكن أطْله بغرا ...

وعلق الأُستَاذ المحقق على كلمة "الغرا" فقال: مادة لاصقة؛ ما زال هذا اسمها في بغداد.

أقول: إن "الغرا" أو "الغراء" معروف، والاسم نفسه في كثير من بلاد العرب في عصرنا هذا.

٩- وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف:

قال: حدثنا أبو عبدالله أحمد بن أبي دؤاد ....

أقول: ليس في العربية مادة "دأد"؛ وعلى هذا ليس فيها "دؤاد"، بالهمز، من الأعلام، والصواب: "دُواد" بالواو. وعرض هذا الوهم لكثير من المحققين والناشرين.

جاء في "الاشتقاق" لابن دريد ص ١٦٨ قوله في الكلام على أبي دواد الشاعر:

واشتقاق "دواد" من الدود؛ والدوادة والدودة واحد.

أقول: ولم يرد هذا الاشتقاق في "اللسان"؛ فقد جاء فيه في ترجمة "دود":

قال ابن الأعرابي: الدوادي مأخوذ من الدواد، وهو الخَصْف الذي يخرج من الإنسان، وبه كني أبو دواد الايادي.

وليس شيئاً اختلاف الاشتقاق بين ما ورد في كتاب الاشتقاق لابن دريد، وبين ما ورد في "اللسان"، ذلك أن الذي يهمنا هو الأصل الواويّ لا المهموز.

١٠- وجاء في الصفحة ١٠٠ قول المصنف:

"إن قوماً ركبوا البحر ... ... فقام رجل من أهل المركب". فعلّق المحقق الفاضل على كلمة "المركب" فقال:

المركب واحد المراكب البحرية والبرية. وفي بغداد تعني الكلمة المركب البحري أي السفينة.

أقول: والذي وعيته من أيام الصبا أن "المركب" في العراق للسفينة النهرية كثيراً، كما هي للسفينة البحرية.

١١- وجاء في الصفحة ١٠٣ قول المصنف:

فجعلت بين يدي نَفَاطة ...

فعلق الأستاذ المحقق على "النفاطة" فقال:

النفط دهن معدني سريع الاحتراق توقد به النار ويُتَداوى به ..

أقول: ما أغنانا عن هذه الحاشية المستقاة من "المنجد" الذي ما أظنه "منجداً" في هذه الكلمة.

ثم تحدث الأستاذ المحقق عن التداوي بالنفط، وكيف تُطلَى به الإبل الجُرْب، مستفيداً ذلك من "لسان العرب". ولم يكتف بهذا بل رجع إلى "قانون" ابن سينا، و "مفردات" ابن البيطار في هذا الموضوع.

وما أظن أن الأمر محتاج إلى هذا، لا سيما إذا عرفنا أن "النفط" لم يرد في النص، بل وردت "النَفَاطة" وهي سراج يستضاء به.

أقول: كان على الأستاذ المحقق أن يشرح "النفاطة" ويشير كعادته إلى "النفطية"، وهي الاسم المتداول في عصرنا ببغداد وغيرها من الحواضر.

ولم يكتف الأستاذ المحقق بهذا بل عرض للنَفّاطة وهي من أدوات الحرب؛ وأشار إلى استعمال الرشيد للنفاطة في حربه مع الروم. وزاد فذكر أن "النفاطة": الموضع الذي يُسْتَخْرَج منه النفط.

أقول: لقد أشرت في "المقدمة" إلى جهد المحقق بإغناء الكتاب بالفوائد الكثيرة.

١٢- وجاء في الصفحة ١٠٤ قول المصنف:

"ثم انتبهت فإذا أنا بمشعل قد أقبل من بعيد".

فعلق الأستاذ المحقق تعليقاً طويلاً على كلمة "المشعل"، واستعمال البغداديين للمشاعل، وهيأته وما يوضع فيه من المواد للاشتعال في رؤوسه.

أقول: وما أظن هذا الوصف مفيداً لغير العراقي ولا أخص "البغدادي" وحده؛ وذلك لأنه لا يعرفه ولا يستطيع تصوره. والمشاعل أعمدة يمتد على أحد رأسيها أعمدة أخرى بهيأة عمودية، فيها رؤوس تحشى بالخيش وتشعل بعد غطسها بالنفط، وتستعمل في مواكب التأبين بذكرى مقتل الإمام الحسين، عليه السلام، في أيام المحرم العشرة الأولى.

وأفاد الأستاذ المحقق أن "المشعل" من أعلام الذكور؛ ويصفون الجميل الوجه بأنه "مشعل".

وقد أفاض في هذا التعليق فذكر زجلاً عامياً فيه كلمة المشاعل. وهذا كثير لَعَلّه يفتقر إلى المناسبة وقيمتها. وفي الزجل كلمة "اللالات"، وهي عامية عراقية لنوع من المصابيح شرحها المحقق شرحاً تاماً.

١٣- وجاء في الصفحة ١١١ ذكرُ أبي الحجاج مجاهد بن جبر؛ فعلق الأستاذ المحقق بقوله:

ترجم له صاحب "الخلاصة" ص٣١٥، وصاحب ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣.

أقول: وكان من المفيد أن يشار إلى المصادر الأخرى؛ أما كان من المفيد أن يستأنس بالمصادر التي أثبتها الزركلي في "الأعلام"، وفيها سِيَر "أعلام النبلاء" و"غاية النهاية" و"الارشاد" وغيرها؟

١٤- وجاء في الصفحة ١١٠ تعليق للمحقق على أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، قال فيه:

تَرجَم له صاحب الخلاصة وقال: إنه قُتِل أيام الحجاج.

أقول: وفي تاريخ بغداد ٢٩٠/١٢ ترجمة مفيدة لأبي الأحوص هذا.

١٥- وجاء في الصفحة ١٦٩ تعليق طويل على "عبدالله بن الزبير" من دون ذكر أي مصدر.

أقول: ولا أريد هذا وحده، ولكني أقول إننا في غنى عن التعليق على الأعلام المشهورة كابن الزبير هذا، ومثل هذا ما ورد من ترجمة معز الدولة بن بويه صاحب العراق، في الصفحة ٩٤، ومثل هذه التراجم للأعلام المشهورة قدر عظيم في "الفرج بعد الشدة".

١٦- وجاء في الصفحة ١٧٦ تعليق الأستاذ المحقق على قوله تعالى: "فإن مع العُسر يُسراً".

قال الأستاذ المحقق: اليُسر اللين والانقياد؛ واستشهد بقول الشاعر:

قوم إذا شوّسوا جَدّ الشماس بهم ذات العناد وإن ياسرتهم يَسروا

ثم قال:

والعسر الضيق والشدة؛ قال الشاعر:

... ...

أقول: ما أظن أن اليسر والعسر من الكلم اللغوي الذي لا يعرفه القارئ العام بله الخاص. إن الآية الكريمة من الآيات التي يستشهد بها، وقد ترد في كلام العامة، فهي مما يعرفون ويرددون.

١٧- ومثل هذا الشرح للكلم المعروف تعليق المحقق على "البَرَد" وشرحه في الصفحة ١٨٠؛ وهو مما يعرفه عامة القراء.

أقول: كأن الأستاذ المحقق حين شرح "البَرَد" أراد أن يقول لنا إن "البغداديين يسمونه الحالوب"، فإذا أصيب الزرع بالبرد قالوا: تحولب فهو محولب.

وهذه إضافة مفيدة لولا تخصيصها بالبغداديين، وذلك لأن عامة العراقيين يعرفون هذا.

١٨- وعلق المحقق في الصفحة ١٨٣ على "الجبل" فقال:

اسم شامل لإقليم عراق العجم ... ... (المشترك صقعا لياقوت ص٩٥).

وأضاف: أدركت الناس ببغداد وهم إذا ذكروا الجبل فهم يريدون جبل بشت كوه في بلاد إيران ... ...

أقول: وليس من صلة بين إقليم الجبل في كتب البلدان القديمة وبين المتعارف في العراق عن "الجبل" إلا من باب "الشيء بالشيء يذكر"!

١٩- وجاء في الصفحة ١٩٠ كلام على الحجاج من زيادات الأستاذ المحقق استوفت ثلاث صفحات، وقد ضُمّت إلى مادة الكتاب دون الإشارة إلى أنها تعليق المحقق.

أقول: وليس هذا مقبولاً؛ والصحيح أن يشار إلى أن هذا من كلام الأستاذ المحقق، وهو حاشية وتعليق، لا أن يُضَمّ إلى مادة الكتاب.

ثم إن ثلاث الصفحات كثير في حاشية أو تعليق، وهي تشتمل على أخبار الحجاج وظلمه بدأها بقوله:

وبلغ من شنيع سمعة الحجاج وشهرته بالظلم ... ...

أقول: وستأتي حواش أخرى تعليقاً على الحجاج، يؤلف مجموعها صفحات عدة، وكلها مُقحَم على نص الكتاب من غير إشارة إلى أنها تعليقات.

٢٠- وجاء في الصفحة ٢٠٣ قول المصنف: "أتعلّمتَ السحر؟"

فراح الأستاذ المحقق يتحدث عن "السحر" في "لسان العرب" وفي آي القرآن الكريم، وما ورد في "الفهرست" لابن النديم في المقالة الثامنة عن المعزمين والمشعبذين والسحرة ... ... ثم قال: انظر دائرة المعارف الإسلامية.

أقول: ما أظن أن كلام المصنف محتاج إلى هذا العرض الوافي عن "السحر".

٢١- وجاء في الصفحة ٢٠٤ كلام طويل مُقحَم على نص الكتاب على "عبدالملك بن مروان" دون إشارة إلى أن ذلك تعليق. ثم إن عبدالملك بن مروان من المشاهير الكبار؛ فهل من حاجة إلى هذا التعليق الطويل؟

٢٢- وجاء في الصفحة ٢٠٥ قول المصنف: وقد رأيته نَقَش ذلك على خاتمه ... ...

فعلق المحقق فقال: الختم في اللغة السد والإغلاق، وقوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم".

ثم صرفت إلى نهاية الشيء، وكقولنا خاتم النبيين.

ثم تكلم المحقق على الطين الذي يُسَدّ به

أقول: و"المتوكل" غني عن التعليق، شأنه شأن المشاهير؛ وإذا كان من تعليق فهو شيء موجز كل الإيجاز، لا ثلاث صفحات كاملة من غير مصدر؛ ثم تضاف إلى مادة الكتاب ولا يشعر القارئ أن الكلام مقحم على النص، وهو من إضافات المحقق.

٣٠- وجاء في الصفحة ٢٢٠ حاشية المحقق على كلمة "الديوان"، وأنه في الأصل جريدة الحساب، ثم ...

ز

المزود أو الكتاب عند الانتهاء منه، ثم صرفت إلى الطبعة .... ثم إلى النص الذي يطبع به الطين، ثم ... ثم ...

أقول: إن هذه من الفوائد، وفيها لون حضاري؛ ولكن هذا كله يتجاوز التحقيق لنص من النصوص.

٢٣- وجاء في الصفحة ٢١٠ تعليق المحقق على "بنت وردان" فذكر أنها دويبة كريهة الرائحة ... ...

ثم قال: تسمى الآن ببغداد "مردانة" وجمعها "مردان"، ثم استشهد ببيت شعر.

أقول: وليس هذا كله من هَمّ المحقق فهو معروف.

٢٤- وجاء في الصفحة ٢١٣ قول المصنف: "ورجوت أن نعاونه بأموالنا وجاهنا ليُمَشّي أمْرَه".

أقول: ومن المفيد أن نعلق على قول المصنف "يمشّي أمره"، وهو من الأساليب العامية التي ما زلنا نتداولها في لغتنا الدارجة في العراق في الأقل. ولم يشر المحقق الفاضل إلى ذلك على شدة اهتمامه بالكلم العامي الذي وصفه بـ"البغدادي".

٢٥- وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

"وأخذ خطيّ بالمال على نجومه".

وقد علق الأستاذ المحقق بقوله: "نجم الدين: أداه نجوماً أي أقساطاً في أوقات معينة".

أقول: ومن المفيد أن يشار إلى أن هذا من المولّدات العباسية في الأقل؛ وفي ذلك فائدة تاريخية.

٢٦- وجاء في الصفحة ٢١٥ قول المصنف: "ورد كتاب عامل مصر".

وعلق المحقق بقوله: "العامل: الموظف المالي الذي يناط به جمع الارتفاعات وما يقتضي صرفه.".

أقول: وليس في النص ما يدعو إلى أن يكون "العامل" بهذه الحدود وهذا الاستعمال، وذلك لأن "العامل" بمعناه المشهور كما يبدو لي هو الوالي أو الحاكم أو الأمير القائم في البلد.

٢٧- وجاء في الصفحة ٢١٥ قول المصنف: "ورد كتاب عامل مصر بمبلغ مال مصر لهذه السنة مجملاً في مبلغ الحمل والنفقات".

وقد علق الأستاذ المحقق بقوله:

أي المال الذي يحمله العامل إلى الحضرة خالصاً بعد سداد النفقات.

أقول: وهذا من فوائد الأستاذ المحقق السنية في عمله المفيد.

٢٨- وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

"فوقّع إلى ديواني بإخراج العبرة لمصرَ".

قال المحقق: العبرة: ثبت ارتفاعات الكورة "أي الواردات". وعبرة سائر الارتفاعات: المعدل الوسط بين أعلى الارتفاعات وأدناها.

أقول: وهذا من الفوائد الكبيرة في شرح هذه الكلمات الاصطلاحية من الألفاظ العباسية الخاصة. ولكني أتساءل: لمَ لَمْ يوثّق الأستاذ المحقق هذه الفوائد بعَض التوثيق؟

٢٩- وجاء في الصفحة ٢١٧ تعليق المصنف على "المتوكل" الخليفة العباسي.

أقول: و"المتوكل" غني عن التعليق، شأنه شأن المشاهير؛ وإذا كان من تعليق فهو شيء موجز كل الإيجاز، لا ثلاث صفحات كاملة من غير مصدر؛ ثم تضاف إلى مادة الكتاب ولا يشعر القارئ أن الكلام مقحم على النص، وهو من إضافات المحقق.

٣٠- وجاء في الصفحة ٢٢٠ حاشية المحقق على كلمة "الديوان"، وأنه في الأصل جريدة الحساب، ثم ...

والكلام مقتبس من "المنجد" وزاد عليه بما يقرب من صفحتين.

قلت غير مرة إن هذه الإضافة غير ذات قيمة كبيرة لتجاوزها المظان المعتمدة.

٣١- وجاء في الصفحة ٢٢٩ تعليق على كلمة "الدهليز" فقال:

الممر الذي بين باب الدار ووسطها، ويسمى ببغداد الآن المجاز.

أقول: كأن الأستاذ المحقق أراد أن يعرف بالكلمة العراقية المعاصرة.

٣٢- وجاء في الصفحة ٢٤٥ تعليق طويل على "الحُرّ" و"الحُرّة"، ودلالة الحرية وشرح الأَمَة والهجين ونحوهما. وهذا التعليق مضاف إلى مادة الكتاب من غير إشارة إلى أنه من إضافات المحقق.

٣٣- وجاء في الصفحة ٢٥٢ شرح لكلمة "الطغيان" بأنه الإسراف في الظلم.

أقول: وهل من حاجة إلى هذا الشرح؟

٣٤- وجاء في الصفحة ٢٦٩ حاشية استغرقت صفحة كاملة عن "زياد بن أبيه"، وقد أضيفت إلى مادة الكتاب من غير إشارة إلى أنها من صنيع المحقق وإضافاته.

٣٥- وجاء في الصفحة ٢٨٠ قول المصنف: "محمد بن القاسم ظلمني".

وقد علق الأستاذ المحقق على ذلك بكلام على "الظلم" استوفى صفحة كاملة، وأضيف إلى مادة الكتاب من غير إشعار بأنه من كلام المحقق.

أقول: كأن المحقق الفاضل يتصيّد أقل صلة ليتكلم في مسائل كثيرة تتجاوز العلاقة أو المناسبة، فيذهب بعيداً كل البعد عن الموضوع.

٣٦- وجاء في الصفحة ٢٨١ قول المصنف: "لما خرج طاهر بن الحسين إلى محاربة علي عيسى بن ماهان، جعل ذات يوم في كُمّه دراهم". فعلق المحقق الفاضل على "الكُمّ" تعليقاً طويلاً ذكر فيه القميص والثوب والجيب و"العُبّ، من العامية العراقية"، كما ذكر ترنيمة يُـتَرَنّم بها للأطفال لتنويمهم من الشعر العامي من جملة أبياتها:

هَسّه يجينا بابَهْ
شايل تمر بأعبابَهْ

وينصرف الأستاذ المحقق إلى شرح كلمة "هَسّه" العامية، وشرح كلمة "شايل"؛ فأين هذا من النص، وما علاقة "الكُمّ" بكل هذا؟

٣٧- وجاء في الصفحة ٢٩٩ حواش لشرح كلمات هي: البرذون، والسرح، واللجام، والطيلسان، والقميص، والشاشية.

أقول: وليس في هذه المواد ما يدعو إلى الشرح والتعليق، فأمرها معروف للخاصة والعامة.

٣٨- وجاء في الصفحة ٣٠٢ تعليق الأستاذ المحقق على "صاحب البريد" استوفى صفحتين، ضُمّتا إلى النص دون أن يكون فيهما ما يشعر بأنهما من كلام المحقق لا المصنف.

أقول: وهذا النمط من التعليقات يتجاوز حد التحقيق؛ ولو رغب المحقق في أن يأتي بهذه الفوائد التي أدركها في قراءاته لكان أولى له أن يفرد لها مصنّفاً خاصاً يَضُمّ فيه هذه النماذج الحضارية والتاريخية واللغوية. وإن شيئاً منها، من غير شك، ألصق بمادة "الكنايات الشعبية" التي أفرد لها المحقق كتاباً وُسِم بـ"الكنايات البغدادية".

٣٩- وجاء في الصفحة ٣٠٥ تعليق المحقق على كلمة "المال" التي وردت في كلام للمصنف.

لقد أتى المحقق بما ورد في "لسان العرب" عن "المال"، وما جاء في كتاب "التلخيص" لأبي هلال العسكري عن المال، ودلالته على الإبل والغنم وغيرها من الماشية.

غير أن المحقق لم يكتف بهذا فقال:

أما في بغداد وما يجاورها فإن كلمة "المال" تقوم مقام كلمة "الهن"؛ أي أنها كناية عن عضو التناسل سواء عند المرأة والرجل أو الحيوان. ثم ذكر قول أحد الشعراء العراقيين وزاد قول أحد شعراء الحلّة.

أقول: ولا أرى فيَ حاجة أن أذكر قول أحد الشعراء العراقيين ولا الشاعر الحلي فأسيء إليهما، ولكني أقول: إنهما كنيا عن "المتاع" بشيء آخر هو "مال"، وليس "المال"، اجتناباً لذكر السوأة.

قلت: "مال" وليس "المال" وأريد بذلك أن "مال" هذه بغير الألف واللام هي شيء ينطوي فيه قولنا: "ماله" و"مالنا" و"مالكم" و"مالهن" إلى آخره ثم اجتُزِئَ من ذلك بلفظ "مال" على طريقة الضم أو النحت والخرم للضمير، فكانت الكلمة "مال"؛ وهي غير "المال" المعرفة التي تعني ما تعنيه من الدلالة على الإبل والغنم وسواهما.

٤٠- وجاء في الصفحة ٣٥٦ قول المصنف: "أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني عن المدائني".

فعلق المحقق على "المدائني" فقال: نسبة إلى "المدائن"؛ ورَحَل يتكلم على المدائن وفيها إيوان كسرى، وقرب الإيوان قبر سلمان الفارسي الملقب بـ"پاك" أي الطاهر، ومن ذلك "□اكستان" البلاد المعروفة؛ ثم ذكر كيف يجتمع العراقيون البغداديون في المدائن للنزهة.

أقول: أليس هذا كله من التجاوز على عمل

المحقق!

٤١- وجاء في ٣٦١ تعريف بالجاحظ ذَكَرَه المحقق؟

أقول: إن أبا عثمان أشهر من أن يعرّف به في حاشية من حواشي كتاب "الفرج بعد الشدة".

٤٢- وجاء في الصفحة ٣٦٦ كلام طويل أضيف إلى النص دون أية إشارة، على جعفر البرمكي. وهذا على شاكلة ما صنع المحقق في جملة أعلام ومواد أخرى.

٤٣- ونختتم الجزء الأول فنرى في الصفحة ٤٠٠ تعليقاً طويلاً في قسوة الحجاج وظلمه ضُمّ إلى مادة الكتاب.

٤٤- وجاء في الصفحة ٢٧ قول المصنف: "فأُحضِرَتْ وشُلِّحتْ للضرب".

فعلق الأستاذ المحقق على "التشليح" وقال: إنه التعرية؛ ثم أتى كعادته فأشار إلى دلالة التشليح عند البغداديين، وهو "انشكاف العورة" (كذا)؛ والتعرية عندهم "التصليخ"، وهو مصلَخ أي عار.

أقول: ولا أرى من داع إلى هذا الإسهاب في هذا الضرب من الأدب العامي.

٤٥- وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

"فإن كانت الرفيعة صحيحة فليس يفوتك عقابه".

فعلق المحقق بقوله: "الرفيعة ما يُرْفَع على الإنسان من التهم".

أقول: وهذه فائدة جليلة تدخل في باب المُحْدَثات العباسية في اللغة.

٤٦- وجاء في الصفحة ٢٨ قول المصنف: "وجدت المستَحَم ضيقاً غير نظيف".

أقول: لقد أشار المحقق إلى أن المراد بـ"المستحم" المرحاض، وهذا نظير قولهم: بيت الأدب، وبيت الراحة، والمستراح، كناية عن بيت "المرحاض".

٤٧- وجاء في الصفحة ٤٦ قول المصنف: "وألبسني جبة صوف قد نُقِعَت بماء الأكارع".

أقول: وقد علق الأستاذ المحقق في الصفحة ٥٠ تعليقاً طويلاً على "ماء الأكارع"، وأضيف التعليق إلى النص كأنه جزء منه، ذكر فيه شيئاً عن "الكرع" وجمعه كوارع على لغة المصريين، وتسمى "الأكلة" في الشام (كذا) وفي لبنان (كذا) وفي بغداد (كذا) وما يتصل بذلك في بغداد المعاصرة.

أقول: وفي هذا بعض الفائدة وإن تجاوز حد التحقيق.

٤٨- وجاء في الصفحة ٤٧ قول المصنف: كتبت إلى بعض عمال المشرق بمطالبته بأمواله وودائعه، فكتب إلي بالطاطة، فكتبت إليه بأن يُغَلّ ...

أقول: ولم يعلق المحقق على قوله: بالطاطة. والإلطاط الستر والاخفاء، فكأنه أراد أن يقول: إنه أنكر الأموال والودائع.

٤٩- وجاء في الصفحة ٤٨ قول المصنف:

"ولم يبرح حتى أمروا بأخذ حديدي وإدخالي الحمام وأَخْذ شعري".

أقول: أردت أن أنبه على قوله "أخذ شعري" وهذا من معاني الأخذ التي جَدّت، والمراد به قص الشعر.

٥٠- وجاء في الصفحة ٥٣ "دار مؤنس"، وهو مؤنس المظفر، من القواد الأتراك في الدولة العباسية.

لقد علق الأستاذ المحقق على "دار مؤنس" تعليقاً استوفى صفحتين ضمهما إلى نص الكتاب من غير إشارة إلى صنيعه هذا. كما أشار إلى موضع الدار المذكورة وأين مكانها في بغداد الحديثة، وهو سوق "اليمنجية". ثم تكلم على ما يسمى في العراق الآن "يمني"، وهو ضرب من الأحذية خاص لونه أحمر وله مقدم متجه إلى الأعلى؛ ولا أدري لم سمي "يمني"، ذلك أننا لا نعرف أنه مستورد من اليمن مثلاً، أو أن جِلْدَه من اليمن!

أقول: ألا ترى معي، أيها القارئ، أن المحقق قد ابتعد في هذا الاستطراد عن مادته؟

٥١- وجاء في الصفحة ٦٤ قول المصنف: "فمن أين أنفق الأموال وأقيم الأنزال".

أقول: الأنزال جمع "نُزُل" بفتحتين وهو الأرزاق والأعطية. وهذا من مولّدات العصر العباسي.

٥٢- وجاء في الصفحة ٨٠ قول المصنف: "وخرج وصرف التوكيل عني".

لقد أشار الأستاذ المحقق إلى التوكيل وأفاد أنه مصطلح عباسي يراد به حجز الحرية؛ فيقال: وكّل به إذا نصب عليه حارساً يحول بينه وبين الفرار.

٥٣- وجاء في الصفحة ٨١ قول المصنف: ".... إلى أن أزيح علة قائد يصحبك إلى الرملة".

وقد علق الأستاذ المحقق على "إزاحة العلة" قائلاً: إنه مصطلح عباسي يعني القيام بجميع ما يحتاج إليه من يراد إزاحة علته، فالجيش مثلاً يعتبر "مُزَاحَ العلّة" إذا كان أفراده قد أُعطُوا أرزاقهم وسُدت نفقاتهم ... ...

أقول: وهذا من المواد المفيدة، ذلك أنها تكشف عن العربية الخاصة وكيف جدّ فيها من مقتضيات العصر ما أضاف إليها كَلِماً فنياً.

٥٤- وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

"وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات".

"الارتفاع" كما يُستَقرَى من مادة الكتاب هو "الوارد" في لغتنا المعاصرة؛ وقد أشار الأستاذ المحقق إلى ذلك.

٥٥- وجاء في الصفحة ٨٣ تعليق طويل على "الفرش"، ذكر فيه الأستاذ المحقق أنواع المفروشات قديماً وحديثاً، كالطنافس والزرابي وما هو معروف منه في العراق في عصرنا بأسمائه المحلية الدارجة.

٥٦- وجاء في الصفحة ٨٦ قول الأستاذ المحقق على كلمة "ايش" فقال: هي "أي شيء" اختصرها البغداديون إلى "ايش".

أقول: إن "ايش" بمعنى "أي شيء" قديمة، وقد وردت في تاريخ الطبري في أخبار قديمة تسبق تمصير بغداد. وقد أشار الحريري في "درة الغواص" إلى أنها عامية؛ وكذلك فعل الخفاجي في "شفاء الغليل"، ولم يخصص أي منهما أنها بغدادية.

٥٧- وجاء في الصفحة ٨٨ قول المصنف: "... فدَقّ الباب فكَلَّمَه من خَوخة".

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة "خوخة" فقال:

الخوخة الباب الصغير يفتح في الباب الكبير.

أقول: قد تكون "الخوخة" بهذا المعنى وإن كان الدليل غير واضح من النص؛ ولكني أعرف الخوخة في كتب اللغة: إنها كوة في البيت تؤدي إليه الضوء.

٥٨- وجاء في الصفحة ٩٠ قول المصنف: "... فأرمي إليه من رَوْزَنَة لي ...".

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة "روزنة" فقال: هي الرازونة عند البغداديين، وهي روشن ... يريدون به تجويفاً غير نافذ توضع فيه الحاجيات.

أقول: والصواب توضع فيه الحاجات؛ وليس في العربية الفصيحة "حاجيات"، على شيوعها في اللغة المعاصرة.

٥٩- وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف: "... وينشوان في دولتك ...".

وقد علق الأستاذ المحقق على الفعل "ينشوان" فقال: إنها لغة بغدادية، وقد درج البغداديون منذ القديم وما زالوا إلى الآن على حذف الهمزة إذا كانت في آخر الكلمة، وإبدالها واواً أو ياء إذا كانت في وسطها ...

وقد مثل لذلك فجاء بـ: رياسة، وجيسة وصايم ... وحسن النشوة.

أقول: لقد قلت في حذف الهمزة الأخيرة وجوازها لغة وضرورة في العربية الفصيحة، كما قلت في تسهيل الهمزة إلى الواو والياء والألف.

ولكني أقول الآن وأضيف: إنه ربما كانت الكلمة "ينشوان" في نص الكتاب عامية بغدادية أو غير بغدادية، لأن ذلك أمر شائع، بل أقول: إن في العربية الفصيحة "ينشوان" أيضاً.

جاء في كتب اللغة:

نشوت في بني فلان: ربيت، نادر؛ وهو محوّل من "نشأت".

وقال قطرب: نشا ينشو لغة في نشأ ينشأ، وليس عنده على التحويل.

٦٠- وجاء في ١٠٢ تعليق طويل استوفى صفحتين أضيف إلى مادة الكتاب من غير إشارة، على عبيدالله بن زياد.

٦١- وجاء في الصفحة ١٤٦ كلام طويل على سياسة الحجاج المخربة، استوفى ثلاث صفحات وَضُمّ إلى الكتاب.

٦٢- وجاء في الصفحة ١٤٩ قول المصنف:

"... حدثني أبو علي الوكيل على أبواب القضاة ببغداد".

أشار المحقق إلى أن الوكيل هو المحامي في مصطلح هذا العصر.

٦٣- وجاء في الصفحة ١٦٠ قول المصنف:

"... وقعت على سترة الحجاج ...".

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة "سترة" وأفاد أنها ما استمر من الجدار الخارجي إلى فوق سطح الدار، وهو ما يسمى الآن "ستارة" في بغداد؛ وأشار إلى حادثة معاصرة استُعمِل فيها طابوق الستار في خصومة بين طرفين، سلاحاً يتراشقون به.

٦٤- وجاء في الصفحة ١٦٨ قول المصنف:

... وشاع في اليمن ...".

وانطلق الأستاذ المحقق يتكلم على اليمن والشآم واليمين والشمال كلاماً طويلاً.

٦٥- وجاء في الصفحة ١٨٣ ذكر "الكوز"، فراح الأستاذ المحقق يشرح الكوز والكيزان وأنواعها، وما استجدّ من صناعتها، وقد أضيف كلّه إلى مادة الكتاب.

ومثل هذه التعليقات الطويلة تعليق على السُكْر، وآخر على النبيذ، وآخر عن يزيد بن معاوية.

٦٦- وجاء في الصفحة ٣٢٣ ذكر "المسبحة"، فأطال الأستاذ المحقق في الكلام عليها، وأن في مدينة الحلة في العراق تصنع "مسبحة الباقلاء"، وليس هذا إلا من باب ما يتندر به على أهل الحلة لشغفهم بالباقلاء زراعة وأكلاً لها.

الجزء الثالث:

٦٧- وجاء في الصفحة ١٠٧ تعليق على "الحمار" استوفى عشر صفحات. كما ورد تعليق طويل على البرامكة.

٦٨- وجاء في الصفحة ٣٦٤ تعليق على مادة العذاب استوفى أربع صفحات.

كلمة ختام:

لقد أشرت إلى هذه المسائل، ولكني أعترف أن إخراج الكتاب وتحقيقه حظي بالعناية الكبيرة، فجاء مصدراً يُعْتَمد عليه في ضبط النص واحكامه مع الفوائد التي وشّي بها.

عن كتاب مطارحات ادبية للراحل ابراهيم السامرائي

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
عدنان حسين

نائب رئيس التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

● ظرفاء بغداد (٧)

عبود الشالجي ومداعباته الشعرية!

○ حسين الكرخي

هو عبود بن مهدي بن محمد امين بن احمد الشالجي، من مدينة (شلج) احدى مدن الدجيل، جلا عنها اهلها لما انقطع الماء عن نهر الدجيل، وتوزعوا في مختلف انحاء العراق. اكمل الدراستين الابتدائية والمتوسطة في المدرسة الجعفرية الاهلية ببغداد، وانهى الدراسة الثانوية (الاعدادية) في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد، وتخرج في كلية الحقوق العراقية في السنة ١٩٣١م، وبحساب هذه السنين، يفترض ان يكون من مواليد عام ١٩١٠م. انتقل الى المحاماة في السنة ١٩٤٠م وقضى فيها ثلاثين سنة وانتقل في السنة ١٩٦٩م الى لبنان حيث اقام في (بحمدون) عاكفا على التحقيق والتاليف حتى شملتها موجة العنف التي لفت لبنان، فانتهبت داره واحرقت مسودات مؤلفاته فانتقل الى قبرص ثم الى لندن حيث هو الان.من اشهر مؤلفاته الصادرة: نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للتنوخي، تحقيق بثمانية مجلدات. موسوعة الكنايات العامية البغدادية، ثلاثة مجلدات. الفرج بعد الشدة للتنوخي في خمسة مجلدات تحقيق الرسالة البغدادية، للتوحيدي. الكنايات العامية البغدادية ـ مجلد واحد ـ ولديه سبعة كتب اخرى مخطوطة، وهو يعكف الان على تحقيق ديوان الحسين بن الحجاج.

وهو كاي بغدادي اصيل ظريف والظرف طبع فيه، لايتكلفه، ولايتكلفه وكان مجلسه في مكتبه ببغداد ملتقى الوجوه البغدادية من اهل الادب والعلم والسياسة والظرافة. وله مداعبات ونوادر اخوانية كثيرة، اتمثل ببالقة ندية منها هنا:ـ

○ حين كان قاضيا في الحلة، اراد صاحب دعوى التزلف اليه فقد وقر الى ذهنه ان امرا صدر بترفيعه، في حين ان هذا الامر يتعلق بنقله من الحلة الى الموصل، فطير له برقية تهنئة. فاجابه الشالجي (الشاعر الظريف) بهذين البيتين الضاحكين:

الحمد لله على ما حبا ... اوشكت الغمة ان تنجلي
درهمكم قد ضاع منكم سدى ... فقد تحولت الى (الموصل)

•• والدرهم كما هو معلوم اجره ارسال البرقية!

○ كان المرحومان الشهيد يونس السبعاوي وزير اقتصاد حكومة الدفاع الوطني واحد القطاب ثورة مايس ١٩٤١م والاستاذ عبد الهادي الظاهر يعملان في مكتب محاماة مشترك وقد اعتاد صديق الطرفين الاستاذ عبود الشالجي ان يداعبهما بابيات شعرية فكهة في كل مناسبة وبمناسبة حلول احد الاعياد بعث (الشالجي) لصديقه (الظاهر) هذين البيتين الرقيقين:

كل عيد وانت في خارج الحكم ... معني بباطلات الدعاوي
يئس الناس من نجاح دعاو ... انت فيها و (يونس السبعاوي)

○ وقد صار هذان البيتان على لسان كل اديب في نقابة المحامين.

○ ومن طريف مايرويه الشالجي ـ مد الله في عمره ـ قال: وكنا نمازح استاذنا عباس العزاوي ـ رحمه الله ونعيره بخنس في انفه ونسميه (عباس الكسيف) وفي يوم ابصرت المحامي محمد جواد الخطيب في غرفة المحامين جالسا بين المرحومين عباس عبد اللطيف البلداوي وعباس العزاوي، فكتبت اليه في رقعة قصيرة بيتين من الشعر وسلمتها اليه وفيها:

انسي رايتك جالسا ... في مجلس حلو لطيف
مابين (عباس اللطيف) ... وبين (عباس الكسيف)

فاغتاظ استاذنا العزاوي وقال: هذه ابيات معدة مسبقا وهي ليست كذلك.

والى ظريف بغدادي اخر.